

کتاب ثقافت



الحکماء

شعر
عامر محمد زنجیری



كتب ثقافية

الجلالة

دراسة تحليلية

شعر
عامر محمد زنجيري

تقديم

بقلم : محمد عطا

طالعت هذه القصة التاريخية الشعرية للاستاذ عامر بحيرى ، وأنا سعيد بمحاولته الجادة التى كنا نرقبها منذ عهد غير قريب ؛ محاولة اريثاد الشعر العربى لأوزان مبتكرة ، وميادين جديدة لم يكن له بها عهد ؛ فأنا من هؤلاء النقاد الذين يحبذون تلوين القافية فى الشعر العربى حتى تتغلب على الرتابة التى قد تولد السأم فى كثير من الأحيان ، وتتجنب الألفاظ غير المطروقة أو الثقيلة على الأسماع ؛ وبخاصة إذا اضطلع بهذه المحاولة شعراء دارسون واعون ؛ شعراء درسوا القصيدة العربية القائمة على عمود الشعر فى عصورها المختلفة ، وعرفوا مواطن القوة والضعف فيها ، ودرسوا كذلك المحاولات الجادة من شعراء العربية الذين حاولوا التجديد ؛ التجديد فى الموضوع والتجديد فى الوزن ، والتجديد فى الروى والقافية ؛ ثم لم يقفوا عند هذا الحد من المعرفة ، بل تجاوزوه إلى دراسة القصيدة الغريبة ، والشعر الغربى بوجه عام وتذوقوا كل أولئك ثم انتهوا إلى معالجة الشعر العربى معالجة لا تفقده روحه التى يقوم عليها ثم هى تمدّه بألوان جديدة وروح جديدة .

وشاعرنا من هؤلاء الذين عرفوا القصيدة العربية حق المعرفة ، والشعر الغربى فهما وتذوقوا له رصيد فى القصيدة العربية ، وإطالة وقوف عند الشعر الغربى ، وقام بمحاولات فى التجديد ختمها بهذه القصة التاريخية الطويلة التى تروى أجدادنا وكفاحنا فى ربيع القرن الأخير . أو ما يزيد على ذلك قليلا ؛ الكفاح ضد المستعمر ، والكفاح ضد الإقطاع

والرجعية ؛ إنها تاريخ لهذه الفترة ، وتسجيل لأحداثها في القالب الشعري ، وهو قالب له رواه وله مجوه ومدقوه .

والحق انى طالعت هذه القصة الشعرية من غير أن أحس فيها بضعف الشاعر أو تعثره بل انطلق فيها انطلاقاً الشاعر المشحون بالعاطفة ، المحب لشعبه ووطنه ، الفخور بما أداه أبناء هذا الجيل من روح البذل والفداء حتى انتهى هذه النهاية السعيدة الرائعة .

والشاعر في هذه المحاولة لم يفعل ما يفعله الشعراء الآخرون المحدثون من انتهاك لحزمة القصيدة العربية في الوزن أو في القافية ، بل إنه أبقى عليهما ، وإن تغلب على الوقوف عند الروى الواحد أو الجود على الأوزان المعروفة المطروقة .

والقصة الشعرية التي بين أيدينا قد أقتصرت على سرد الأحداث التاريخية ، والمواقف البطولية . ولو أن الشاعر قد عالج فترة بعينها كفترة ما قبل الثورة ، أو فترة الثورة ، واستخدم الخيال استخداماً أوسع ، لكان ذلك أمتع وأروع ؛ ولو أن الشاعر قد سلك مسلك القصة الفنية الثرية بأن سلب أضواءه على جوانب من المتناقضات الاجتماعية الصارخة التي كانت في مجتمعنا ، وما انتهت إليه من زوال في السنوات العشر الأخيرة لبلغ القمة . وإني أرجو وقد رأيت القلم يطوع في يده ، والشعر ينثال من قريحته من غير أدنى تعسف أو تعثر أو تهالك أن يرتاد هذه الطرق ، وأن يستخدم الخيال وأساليب القصة الفنية الحديثة بصورة أشمل وأعمق لتفخر المكتبة العربية بهذا اللون الطريف المستحدث كما زهت المكتبة الغربية بهذا القصص الشعري الساحر ؛ وأنا واثق أنه سيضطلع بذلك فهو به زعيم .

ولاشك أن الدار القومية تفخر بأن تقدم إلى قرائها هذا اللون الجديد من القصة الشعرية وأن تناشد شعراء العربية أن يحاولوا محاولات جديدة في هذا الصدد .

محمد عطا

واقف الموفق والمعين ؟

الإهداء

« إلى « الفَتَى المَرْمُوق » » .

« الذي ورد ذكره في هذه القصة . . »

« ع »

النجلاء

قصة شعرية جديدة . تروى كفاح الشعب في مصر ،
منذ ثورة عام ١٩٣٥ ، وكيف تم على يديه جلاء الإنجليز
عن أرض الوطن ، وصد العدوان الثلاثي عن البلاد
في أخريات عام ١٩٥٦ .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مقدمة

(١)

أمير الشعراء

انتقل أمير الشعراء ، أحمد شوقي ، إلى رحمة الله في يوم الجمعة ١٤ من أكتوبر عام ١٩٣٢ . وفي صبيحة اليوم التالي (السبت ١٥ من أكتوبر) كنت أسير في حدائق الأورمان بالجيزة ، متجها صوب كلية الآداب بالجامعة المصرية^(١) ، لالتحق بها لأول مرة ، إذ كان ذلك اليوم بدء عامها الدراسي الجديد . وكانت في يدي حينئذ صحيفة « الأهرام » ، وقد نشرت في صفحتها الأولى ، صورة أمير الشعراء المعروفة ، فوق كلام عنه تزخر به أنهارها ، أذكر منه يتيه الذين حفظتهما صغيراً ، والذين عرّض فيهما من طرف خفي بقصد النقد له ، ولشعره . . وهما قوله :

أقولُ لم في ساعة الدفن خففوا

على ، ولا تلقوا الصخور على قبري

ألم يكف هم في الحياة حملته

فأجل بعد الموت صخرأ على صخر ؟

وكان يتنازعني ساعتئذ عاملان . عامل البساطة ، يحمل في طياته أسمى وأسفاً على الشاعر العظيم ، الذي قرأت له في صباى الكثير ، وعامل الجد ، يحمل في طياته أن مصادفة التحاق في ذلك اليوم بكلية الآداب — الذى حقق لى رغبة شخصية كبيرة — إنما كانت تعنى أنى بدأت أحمل أمانة .

(١) جامعة القاهرة فيما بعد .

الشعر للمستقبل... وما أعظم إشفاقى من حملها ؟ وردد خاطرى وقتئذ
أحياناً لشوق نفسه ، قالها منذ فترة قريبة جداً لذلك التاريخ^(١) في احتفال
وضع حجر الأساس ، في بناء كلية الآداب ذاتها . إذ يقول :

ما هذه الغرف الزواهر بالضحي الشائحات كأنها الأعلام
هذا البناء الفاطمي^(٢) منارة وقواعد الحضارة ودعم
شرفاته نور السيل ، وركنه للعبقريّة منزل ، ومقام
مهد تهباً للوليد ، وأيكه سيرن فيها بلبل وحمم

(٢)

تجديد الشعر

وفي كلية الآداب ، رحت أعمل على تجديد الشعر .. وكان يحتم على
السير في هذه الطريق عوامل كثيرة . منها دراستى للشعر الانجليزى ،
وفي مقدمته شعر شكسبير ، ومقارنته بمسرحيات شوقي ، التى ظهرت
يومئذ ، وشغلتنى إلى حد كبير ، بما جعلنى أكثر النسيج على منوالها ، في
محاولات بادئة ، كانت أولها محاولة نظم قصة « الثورة الفرنسية » بعنوان
« مارى أنطوانيت » .. وهو موضوع لم يكن مقدراً له أن يرى النور في
ذلك الحين !

ومنها ظهور صحيفة « أبولو » ، في ذلك التاريخ ، ورحيباً بما أرسله
إليها من شعر ونقد ، وما كانت تزخر به الصحيفة من إنتاج حافل ،
وما كانت تشيعه في الحياة الأدبية من حماسة ظاهرة .

وكانت مجموعة الشعر التى أصدرتها مفتتح عام ١٩٣٦ ، بعنوان :
« اليخت الذهبي » ، تحمل طابع التجديد الذى حاولته في تلك الفترة ..

(١) عام ١٩٣١ .

(٢) يقارن شوقي في هذا البيت بين هذا البناء العلمى الشامخ ، وبناء الجامعة المصرية
الحديثة ، وبين ذلك البناء العلمى الشامخ الذى أقامته الدولة الفاطمية في مصر قبل ألف
عام ، وهو الجامعة الأزهرية .

تجديد في روح الشعر ، وفي مضمونه ، وفي قالبه أيضاً . . وكان تجديد القالب يتمثل في إدخال أوضاع شعرية جديدة ، أظهرها هذه الأصعاد (Stanza) الرباعية ، والثنائية ، والتساعية . . التي أخذتها عن بعض الشعراء . . وبخاصة تساعية آدموند سينسر (١٥٥٢ - ١٥٩٩) التي نظمت فيها يومئذ قصيدة « القيضان »^(١) ، وغيرها وثمانية بيرون (١٧٨٨ - ١٨٢٤) التي أسميتها كذلك لآتي أخذتها عن ملحمة « دون جوان » المعروفة . . ونظمت فيها يومئذ قصيدة « الرحمة النائمة »^(٢) في رثاء شاعر تونس النابغة أبي القاسم الشابي .

كما حاولت فيما بعد إدخال نظام السونته (Sonnet) وهو يتكون من أربعة عشر شطراً (أو بيتاً) ويسميه « الصدحات »^(٣) لما لمست من قرب الجرس الصوتي بين الكلمتين العربية والافرنجية ، ولما توديه كل منهما من معنى اللحن والغناء !

(٣)

تجديد العروض

على أن أم ما شغلني يومئذ من تجديد الشعر ، هو تجديد العروض . . ولست أريد أن أكتب هنا بحثاً علمياً مستفيضاً في العروض المقارن . . ولكني أكتفي بأن أذكر في بساطة ، أنني لاحظت أن بحور الشعر العربي تنقسم قسمين ، بسيطة ومركبة . بينما بحور الشعر الأوربي مثلا كلها بسيطة .

ومعنى البحور البسيطة ، أن البيت يتكون من قفيلة واحدة ، متكررة ، نحو :

مستفعلن ، مستفعلن ، مستفعلن . . في الرجز

(١) البيت الذهبي (١٩٣٦) . ص ٤٥ .

(٢) المصدر نفسه . ص ١١٤ .

(٣) ديوان ثورة الشعر تحت لواء الرواية (١٩٦٠) ص ١٩٧ .

متفاعِلن ، متفاعِلن ، متفاعِلن .. فى الكَامِل
 فعولن ، فعولن ، فعولن ، فعولن .. فى المتدارك .. الخ .
 ومعنى البحور المركبة ، أن البيت يتكون من تفعيلتين مختلفتين ،
 تسكران واحدة تلو الأخرى .. نحو :

فعولن ، مفاعيلن ، فعولن ، مفاعيلن .. فى الطويل
 مستفعِلن ، فاعِلن ، مستفعِلن ، فعِلن .. فى البسيط
 فاعِلانن ، مستفعِلن ، فاعِلانن .. فى الخفيف .. الخ

ولما كنت قد تيّزت تمام التّين ، أن الشطر فى الشعر إنما هو البيت
 نفسه (كما هو واضح فى الرجز المقفى فى كل شطر ، وهو أقدم أنواع
 الشعر العربى) . وأن البيت المعروف فى قصائدنا العربية ، والمكون
 من شطرين ، ماهو إلا نوع من الشعر المزدوج (Couplet) .. وذلك
 يظهر بوضوح أكثر فى البيت الأوربى ، الذى يسمونه سطرأ (Line) ،
 أى بيتاً . كما يظهر بوضوح أيضاً عند ترجمة الشعر الأوربى ، إلى شعر
 عربى — وهو ما عالجته ^(١) — فتمع المعنى الوارد فى البيت الأوربى حينئذ ،
 فى شطر واحد من الشعر العربى .. لذلك رأيت أن أول واجب نحو
 تجديد العروض العربى ، وجعل الشعر العربى يستوعب الموضوعات
 الكبيرة كالملاحم والمسرحيات ، إنما هو فى الرجوع إلى هذه الحقيقة ..
 وهى رده بيت الشعر العربى إلى شطر واحد ، بدلا من شطرين ، لاداعى
 لها ^(٢) خصوصا مع التزام القافية فى الشطر الثانى على طول القصيدة ، مما
 كان مثار الشكوى الحقيقية من جهود الشعر العربى ، من حيث المعانى

(١) انظر « البيت القمى » ، و« المختار من الشعر الإنجليزى » (تحت الطبع)

(٢) لا يبنى ذلك أن القصيدة العربية ذات الشطرين أصبحت غير ذات موضوع ،

فهى التى استوعبت ترانثا الشعرى كله على مر العصور ، وما زالت فى أيدي القاهرين
 والرويين ، صالحة لاستقبال الجديد أيضا .

والموضوعات ، على أيدى ضعاف الشعراء ، وأدعياء الشعر ، على مر
العصور .

ولكن جعل البيت شطراً واحداً في العربية لا يكفي .. لأنه لا يزيد
عادة على ثلاث تفعيلات .. بينما هو في الشعر الأوروبي خمس أو ست .
لذلك رأيت أن أنسب وضع البيت العربي الجديد ، هو أن يتكون من
خمس تفعيلات ، في البحور البسيطة .. فيكون البيت الجديد من البحور
البسيطة هكذا :

مستفعلن مستفعلن مستفعلن مستفعلن (الرجز)

مفاعيلن مفاعيلن مفاعيلن مفاعيلن (الكامل)

وهكذا ..

ويصعب أن يحدث ذلك في البحور المركبة . إلا أن تكون سداسية
فيكون البيت الجديد من البحور المركبة هكذا :

فعولن مفاعيلن فعولن مفاعيلن فعولن مفاعيلن (الطويل)

مستفعلن فاعلن مستفعلن فاعلن مستفعلن فاعلن (البسيط)

وهكذا ..

على أن ما حاولته فعلاً هو التنظيم في خماسيات البحور البسيطة^(١) ،
وإن كان التنظيم في سداسيات البحور المركبة ممكناً . إلا أن الأول أيسر منه ،
وأنسب لموضوع القصة أو الملحمة^(٢) .

وبهذه المناسبة أذكر أن الموضع العربي لا يخلو من بحور مهملة . أو

(١) ملحمة « الجلاء » — وديوان « قصائد أفريقية » ، قصيدة « في
فريق » ، ص ٩٥ .

(٢) أنظر ديوان « قصائد أفريقية » قصيدة « التواخين الاشتراكية » ص ٩٨ ، فقد
فضلت في بحر البسيط (وهو من البحور المركبة) بطريقة أكثر تحرراً من حيث عدد
التفعيلات في كل بيت .

مقلوبة من البحور المعروفة^(١)، لها أنظمة وتفاعيل، ولكنهم لم يستطيعوا
النظم فيها ، ولذلك لم يصل إلينا فيها شيء يذكر . لأن العبرة ليست بوضع
نظام معين ، وإنما العبرة هي في كون هذا النظام صالحا للتطبيق . .

وهنا لا بد لي أن أقول إن محاولات التجديد في الشعر العربي ،
وبخاصة من حيث العروض ، التي ظهرت في الفترة الأخيرة (عام ١٩٥٠
وما بعده) . وإن كان المقصود بها تطوير الشعر العربي فعلا ، والخروج
به من حيز الجود إلى حيز المرونة والانطلاق والاستيعاب . . وإن
كانت تتفق كذلك مع بعض القواعد التي ذكرتها الآن . . إلا أنها في
أكثرها بحاجة إلى تصحيح وتقويم . . ومن مآخذ على هذه الحركة ،
تخبط التفعيلة الواحدة ، واختيار البحور الضعيفة ، وعدم التقيد بالقافية
أو إهمالها ، مع ضعف الأسلوب غالبا ، مما يجعل هذا النوع ، حتى الآن ،
أشبه شيء بالترجمة النثرية لشعر أوروبي ، منه بنظم شعري مبتكر . .
ولوروعيت فيه بعض الضروريات من تكامل التفعيلة ، واستقامة البيت ،
والاعتماد على قوة القافية . مع العناية بالأسلوب ، الذي هو روح العربية
وريحانها . . لكان منه شيء قريب مما ذكرته الآن ، وبنيته على دراسة
مستأنية ، واعية ، أمينة على تراث العربية المجيد ، وثروتها اللغوية
والموسيقية الخالدة !

(٤)

المللح والمسرحة

وقد ذكرت أنني تأثرت بمسرحيات شوقي ، وشغلت بها إلى حد
كبير ، كما رحلت أترجم من مسرحيات شكسبير التي كنت أدرسها
يومئذ ، فترجمت من العاصفة ، وماكبث^(٢) ، وأنطوني وكليوباترا ،

(١) أنظر شرح القصيدة الخرجية للأصمدي — والبيون الفاخرة النازمة على خباب
الرامزة للدمامي .

(٢) أنظر مجلة « أبولو » (عدد يونيه ١٩٣٣) للفرجة الشعرية للنظر الخامس من
الفصل الخامس من مسرحية « ماكبث لشكسبير » .

وغيرها .. كما قمت بمحاولات خاصة ، منها « ماري انطوانيت » (١٩٣٢) ثم « الجيل الجديد » و « رسالة العدل » (وقد مثلتها طلبة كليتي الآداب والحقوق بقاعة الحفلات الكبرى بالجامعة عام ١٩٣٩) ، ثم « خالد بن الوليد » في خمسة فصول (١٩٤٥) ، و « الأمين والمأمون » (١٩٤٢ ، ١٩٥٧)^(١) ، ومحاولة لم تتم عن « قناة السويس » (١٩٥٦) .

أما الملاحم ، فكانت الميدان الذي لم أجد في حبلتي من شعراء العربية فارساً ، رغم ما هو موجود فعلاً في أدبنا القديم من قصص شعرى ، ومن ملاحم أغلبها تثرى ، يتضمن في أثنائه أبحاثاً من الشعر ، تمثل حواراً بين الشخصيات .. على أنى درست في الأدب الانجليزي ، بين ما درست ، قصصاً شعرية كاملة ، ذات فصول ، فدفعني ذلك إلى هذه المحاولة ، التي لا أقول إنى وجدت لها نظيراً عند شوقي .. فقد نظم شوقي مثلاً أرجوزة في « تاريخ العرب والإسلام » ، فلم يزد فيها على نظم التاريخ وإنما كنت أريد القصة الفنية الخالصة .. ومن أول المحاولات التي قمت بها في هذا الجانب القصصى ، « الساحرة » ١٩٣٦^(٢) ، و « يوسف الصديق » (١٩٣٨) ، و « الحماة البيضاء أو سفينة نوح » (١٩٤٢) ، و « إيزيس وأوزوريس » (١٩٤٤)^(٣) ، و « أمير الأنبياء » (١٩٥١)^(٤) .

(١) كانت المرة الأولى عام ١٩٤٢ بمحاولة للتجديد ، إذ نظمت المسرحية في بحر لحاسي الضميلات من الرمل ، وقدمتها لمسابقة في وزارة الشؤون الاجتماعية فلم تفرز . ثم قمت في المرة الثانية بأعادة نظمها على طريقة شوقي ، وقدمتها لمسابقة في وزارة التربية وحصلت فهازت بجائزة التأليف المسرحي عام ١٩٥٧ .

(٢) لمر فصل من هذه الملحمة بعنوان « الحماة البيضاء » خطأ في صحيفة الجهاد عام ١٩٣٦ .

(٣) تفرعت بلحمة إيزيس وأوزوريس كاملة لأول مرة ضمن ديوان « ثورة الشعر تحت لواء البرهية » عام ١٩٦٠ .

(٤) أخطب هذه الملحمة البدء في نظم ملاحم اسلامية تاريخية ، وهي : آدم وحواء ، وسيف السماء . وشيخ كربلاء .. ولم يتم نظم واحدة منها بعد .

غزوة القصص في الشعر العربي

على أن هناك فرقاً كبيراً بين نظم التاريخ ، ونظم القصة المستقلة لقواعد الفن القصصى وشرائعه . وبالرغم من أن بعض محاولات التي ذكرتها ، ربما يعد من نظم التاريخ ، مثل ملحمة «أمير الأنبياء» ، التي كان جلال موضوعها ، وشخصية البطل فيها ، مما يدعوني للاقتراب ما أمكن إلى حوادث التاريخ ، بل إلى تحرمى الصحيح منها دون الموضوع .. إلا أنني في محاولات نظم الملحمة بصفة عامة ، كنت أهدف إلى نظم القصة الشعرية الفنية ، ما أمكن ذلك^(١) .. فكانت قصة «الساحرة» وقصة «الحمامة البيضاء» مثلاً ، خيالاً محضاً . كما استندت قصة «إيزيس وأوزوريس» إلى الأساطير المروية في هذا الشأن ، اخترت منها ما يناسب البناء القصصى الذى أردته ، وتركزت ما لا يتسق معه^(٢) .

ومع ذلك فإن واحداً من النقاد المعاصرين ، تعرض للملحمة «أمير الأنبياء» بالنقد . وتعرض بخاصة لهذا الشعر الذى وضعته عليها ، وهو عبارة «غزوة القصص في الشعر العربى» .. فقد ذكر الناقد أن هذه

(١) في بدء الصالى بالحركة الأدبية أخذ زملائي من شعراء الشباب يتحولون إلى كتابة القصة واحداً بعد واحد . ونصحى بضمهم بذلك ، لأن القصة عمل أجدى وأوفر ربماً من الشعر ، لا أننى آثرت الإخلاص لرسالة الشعر مدى الحياة ، ومن ثم أخذت في تطوير هذه الرسالة حتى شملت القصة واللغة والمسرحية ، وهو الميدان الذى رأيته أفرم لتطوير الشعر العربى ومجديده من سواء .

(٢) اخترت أن تنتهى القصة بحركة نزالية بين حوريس وطيفون ، تختم بموت الأخير وهو له العمر . بينما اختار الأستاذ توفيق الحكيم في مسرحيته «إيزيس» إنها القصة بمنظر المحاكمة . وكلا الاختيارين مناسب لموضوعه ورأى ، فاللغة المقروءة تناسبها منظر الحرب والقتال ، بينما المسرحية التمثيلية تناسبها منظر المحاكمة أكثر ، لنهولة الحركة والأداء على خشبة المسرح .

الملحمة الشعرية « عمل لم يسبق به أحد » .. وأن صاحبها « قد اختار الطريق ، طريق الفن ، بل القصيد على وجه التحديد .. كما اختار الإطار ، إطار الملاحم .. واختار طريقاً وعرّاً ، يبلغ فيه رسالته من ناحية ، أو يحقق نصراً فنياً من ناحية أخرى .. » ، وقارن بين طاقات الشاعر في هذه الملحمة ، وبين خيال هوميروس ، وشطحات دانتى ، وتصور المعرى .. وخلص إلى أن الملحمة « لا تعوزها مهارة الفنان ، ولا القدرة على الصياغة بل ربما تسمو في كثير من أجزائها إلى مستوى شوقي ، إن لم تعدّه » ... كما أشار إلى الشعار فقال « إن الملحمة نظمت في شكل لم يكن من الأشكال الكلاسيكية ... وإن اتخذ القصيد القديم بعض ملامحه ... فليس عجيباً أن يضع في قبة كتابه هذا الشعار « غزوة الفصة في الشعر العربي » .. فهو فتح إذاً ... انتصار ! » ، وانتهى أخيراً إلى ترديد قوله بأنها « عمل له فضل سبق .. » وأنها « لبنة ستبقى إلى الغد .. ولغد حكمة الأخير »^(١)

(٦)

قصة البحلاء

ذكرت أنني قمت بمحاولات لترجمة بعض مسرحيات شكسبير إلى الشعر العربي .. كما قرأت كثيراً من القصص الشعرى الانجليزية .. وأذكر هنا أنني قمت كذلك بمحاولات لترجمة بعض هذا القصص ، ومنه قصة « الخصلة الذهبية »^(٢) لتوماس أرنولد ، التي قمت بترجمة شطر كبير منها ، في بحر الكامل ، تتغير فيه القافية كل أربعة أبيات .. وكان ذلك في عام ١٩٣٥ ، ثم عدت بعد سنوات أحاول إعادة نظمها

(١) « محمد في الأدب المعاصر » لماروق خورشيد ، وأحمد كمال زكي . ص ١٣٧ وما بعدها .. والنقد للدكتور أحمد كمال زكي ، الذي اخضع بدراسة الشعر في ذلك الكتاب . هذا وقد ذكر الدكتور أحمد كمال زكي . أيضاً في مقدمته لـ « قصائد أفريقية » (١٩٦٢) أنه « لا سيّما للمفاهيم عامر يعبري أحلاماً بتراجمة ملحمة أمير الأنبياء » .

(٢) « حياة جيسون ومات » ، لتوماس أرنولد .

في بحر الرمل، خماسي التفعيلات ، ثنائي القوافي .. ثم تركت العملية ،
دون أن يتم أحدهما ..

ثم رمنيت عن طريقة وسط ، تنظم فيها القصة ، في بحر واحد ،
وتتغير القافية كل عشرة أبيات .. مع اختيار بحر لكل ملحمة ..
وفي هذه الطريقة نظمت أكثر الملاحم . « فأمير الأنبياء ، في الوافر ،
و « إيزيس وأوزوريس ، في البسيط .. والملاحم الإسلامية على هذه
الطريقة أيضاً .. أما « الساحرة ، فكانت تتغير قافيتها كل أربعة
أبيات .. وأما « يوسف الصديق ، فكانت أشق هذه الأعمال ؛ إذ كانت
لا تتغير قافيتها أصلاً ، وقد بلغت في نظم هذه القصة إلى منتصفها ..
أما خير هذه الأعمال جميعاً ، في نظري ، فهي ملحمة « الحمامة البيضاء
أو قصة نوح ، .. إذ كانت تجري على بحر الرمل ، وتتكون من أحادي
تطول أو تقصر على حسب الحاجة ، كما تقع في داخل الصمد الواحد
أبيات قصيرة متباعدة تباعداً متظلاً ، يحدث الوقوف عندها نغماً
موسيقياً داخلياً ..

وبأني أخيراً دور قصة « الجلاء ، .. التي يراها القارئ في هذا
الكتاب .. وأعتقد أنها تعتبر من حيث أسلوب نظمها « قمة » ، في هذه
المحاولات التي مرت بها في تراث وصبر ، مدى سنوات طويلة .. وهي
في أيسر وصف لها قصة منظومة في بحر خماسي التفعيلات ، من الكامل ،
وهو من أسهل البحور نظماً ، وأقدها على استيعاب الموضوعات المتصلة ،
وأسماء الأشخاص والأماكن .. والقافية تتغير فيه أصلاً كل بيتين ،
ولكن هذا ليس قيداً ، فهي أحياناً تزيد إلى ثلاثة أبيات ، ثم هي أحياناً
تستمر إلى أكثر من ذلك ما شاء لها الاسترسال ، ولن يكون ذلك
إلا مجازة للنغم الجليل الذي استساغته الأذن العربية على مر العصور ..
فضخامة الشعر العرب في فخامة موسيقاه ، وهذه الفخامة في الموسيقى آتية
من ناحية القافية ، وما يحشد لها من ألوان النغم ، وما يشره لها من

أوتاره .. والبحر بعد ذلك يستوعب الحوار استيعاباً تاماً ، كما يستوعب الوصف ، والانتقال ، والتسلسل المنطقي ، والسرد القصصي ، والأسماء القديمة والحديثة على السواء ..

ويمكن أن يقال في إيجاز إن قصة « الجلاء » ، قد نظمت في بحر مبتكر ، لا يبعد عن أصول العروض العربي ، ولا يكاد يختلف عن نفاثتها في القصص العالمية الكبرى !

(٧)

موضوع قصة الجلاء

للحديث في موضوع هذه القصة جانبان ، جانب الفن ، وجانب التاريخ ..

وأبدأ بجانب التاريخ .. وهو يتمثل في هذه الأحداث السياسية التي جرت في مصر بين عامي ١٩٣٥ ، ١٩٥٦ .. فين هذين التاريخين جرت أحداث هائلة ، يكفى أنها تمثل جيلين مختلفين تمام الاختلاف ، يفصل بينهما يوم خالد في تاريخ الزمن (هو يوم الأربعاء ٢٣ من يولية عام ١٩٥٢) وهو يوم انطلاق الثورة .. ولما كانت الحرب الإيطالية الحبشية عام ١٩٣٥ ؛ نذيراً بقرب وقوع حرب عالمية ثانية ، فقد أحس المصريون بأن الفرصة يجب ألا تفلت من أيديهم هذه المرة ، كما أفلت عقب الحرب العالمية الأولى .. وبدأ شباب الجامعة يتصدرون الصفوف ، ويتعرضون لرصاصة الإنجليز ، وتساقط منهم الشهداء .. ولكن الحزبية البغيضة قضت على هذا الجهاد الشريف تحقيقاً لمآرب شخصية رخيصة ... ولم يلبث الشباب أن جدد حركته .. وكانت الدعوة الجديدة لا تعتمد على الأحزاب ، ولكنها اعتمدت لأول مرة على منطق سليم ، هو منطق القوة ، منطق السلاح .. وهي اللغة التي لا يفهم المحتلون غيرها .. بدأت هذه الحركة في داخل الجيش .. وبدأ الشباب

التمس في داخل الجيش وخارجه يتصيدون جنود الإنجليز ، أفرادا
وجماعات .. وبدأت تنتشر خلايا هذه الحركة التحررية الكبرى . التي
انتهت بقيام الثورة ، عام ١٩٥٢ ، ثم إسقاط الملكية ، وإعلان
الجمهورية . في العام التالي ١٩٥٣ . بينما واصل الفدائيون محاربة جنود
الاحتلال قبل عام الثورة ، وبعده ، حتى انتهى الأمر بمعامدة الجلاء
(عام ١٩٥٤) الذي تم فعلا ، وغادر آخر جندي انجليزى أرض
الوطن في بورسعيد في شهر يونية عام ١٩٥٦ . ثم حدث في الشهر التالي
(يولية ١٩٥٦) أن أعلن قائد الثورة ، تأميم قناة السويس ، وبذلك
تعرضت البلاد مرة أخرى للعدوان الثلاثي الفاشم ، الذي صمدت له في
بطولة أذهلت العالمين . وانهى الأمر بانسحاب المعتدين ، وتثبيت
دعائم الاستقلال ، الذي أعقبه الانطلاق نحو الأهداف العربية
الكبرى ..

وأما جانب الفن .. فيتمثل في أن هذه الملحمة إنما هي عمل
فنى ، وقصى خالص ، وإن كان يظهر في بعض فصولها أنها تصور
أحداثا واقعية من تاريخنا القريب فعلا ، لا يخطئ تينها أحد من هرفها
أو شهداها .. إلا انها كتبت في الواقع كتابة فنية متحررة من كل القيود
والالتزامات .. فهي قصة مبتكرة .. وأفرادها كلهم من خلق
المؤلف .. وليس فيهم شخصية واحدة لها نظير في الوجود الخارجى ..
وإن كانت الحبكة القصصية تجعل من الممكن أن يكون كثير منهم قد
عاش فعلا تلك الفترة ، وجاهد فيها ، وشارك في أحداثها على هذه
الصورة أو تلك .. وحسبها نجاحا من الناحية الفنية ، أن تكون قد
أعطت صورة صادقة للجتمع في مصر ، وصورت فعلا بعض أفراد
وأبرزت جوانب من حياتهم ، في الفترة التي شملتها الأحداث ..
ولا تقتصر هذه الصورة على الجانب السياسى فقط .. ولكنها تصور
الحياة الجامعية الناشئة في مصر ، كما تصور بعض مشكلات المجتمع ،
وغير ذلك من شئون العقل والعاطفة ، وحياة الريف والمدينة ..

(٨)

كلمة أجنبية

ولقد نظمت هذه الملحة بين شهرى مارس وسبتمبر ، من
عام ١٩٦٢ ، وتعاملت في ذلك بشيئين ..

فهى بهذا التاريخ تنظم على رأس عشرة أعوام من قيام الثورة
المباركة ، التى كانت فيصلا بين الحق والباطل ، وبين النصر والهزيمة ..
والتي لولاها لما تحقق الجلاء ، .. وهو أمنية الجيل السابق ، وواقع
الجيل الحاضر .. وهو صلب هذه القصة ، والاساس الذى بنيت عليه
فكرتها .. كما أنه لولاها لما أمكن تصوير بعض الأحداث بصورة
متحررة واقعية ، فكثير مما ورد فيها كان مما يهمس به أهل الجيل السابق ،
ومما كان الجهر به سريا في الزج بهم في أعماق السجون والمعتقلات !

وهى بهذا التاريخ تنظم على رأس ثلاثين عاما من وفاة أمير الشعراء
أحمد شوقي ، الذى كانت وفاته في يوم التحاق بالجامعة ، مصادفة تعنى
بالنسبة إلى حمل أمانة الشعر للمستقبل ، وهى الامانة التى أشفقت من
حملها بالأمس ، ولتى أرجو أن أكون قد أدبت بعض نصيبى منها اليوم
فأرضيت بذلك روحه في عايين .

وحسبى في سبيل حمل هذه الامانة ما لقيت من عنت شديد . وحرب
خفية وظاهرة ، طوال هذه السنوات ، من قصيد تسرق أصوله ،
وهدهاء تنشر فصوله .. وجهاد تطوى صحائفه ، وحقد تطلق قذائفه ..
وحب يقابل بإنكار ، وتقدير يواجه باستهتار .. وعمر تنقضى أيامه
وزمان تخطى أحكامه .. وسرار وهمس ، مع حاول وقوف ، وتأخر
بين الصفوف .. فلولا إيمان باقه يعنى للثمن ظلبة القبر ، وتواصل مع

النفس بالحق وتواصل بالصبر .. لهاضت العزيمة ، وحلت العاقبة
الآلئمة .. ولكن فضل الله السابغ ، وكرمه البالغ .. قد أوفيا على الغاية
ووصلا - يا ذن الله - بين مؤمل البداية وموفق النهاية ..
حسبي في سبيل حمل هذه الأمانة ما لقيت ..
وعهدى أن أني وفي رسالة الشعر ما حيت !

عامر محمد مجري

الجـ مـ مـ لـ أـ

(١)

آبَاءُ وَأَبْنَاؤُ

وقفت بشط^(١) ، والجعفرية^(٢) .. والغروب على جلال المشهد
والسحب أقطاع^(٣) هنا وهناك .. بين مسنجب ، ومورد^(٤)
وقفت تحدث نفسها .. والصدر يعلو تحت سمط زبرجد .
وتلفت من حولها ، كغزالة .. وتنبأت للبوعد ..
والثوب أبيض ناصع .. رقصت عليه فصوصه الخضراء^(٥)
والقرط يلعب ، والشعور سباتك^(٦) ، تزهو بها احسناء ..
جذلاثة بلبقاء من تهواه^(٧) ، لولا محرقة^(٨) الأحزان ..
لوشيك توديع ، وقرب تفرق .. فالدمع فيض^(٩) جمان^(١٠) !

* * *

ورنت إلى الأفق البعيد .. وللحقول عير^(١١)ها النشوان^(١٢)
والشمس تغرب .. والزهور اليانعات على الرئي ألوان^(١٣) ..
وبدا لها شبح^(١٤) ، يسير على الطريق ، محاذراً ، متلفتاً ..
خفيت ملاحه لناظرها .. وقال القلب^(١٥) :
« ذاك هو الفتى .. »

(١) الجفيرة ، اسم القرعة التي كانت تجري بالقرب من مدينة طنطا ، وتروى هذه القصة أن هناك قرية صغيرة تحمل نفس الاسم تقع على شطها ، وقد دخلت فيها بعد في حدود المدينة مع امتداد العمران .

(٢) أي السنجابي والوردى ، وهو من وصف السحاب عند التقائه بالشفق الأحمر لدى الغروب .

(٣) الضيق في « فصوصه » يرجع إلى سمط زبرجد ، في البيت الأسبق .

هو فارسُ الأحلام ..

والثقا هناك لساعة أو شيعها^(١)

أرأيت ، أحمد ، في نصير شبابه .. و«سعادة» في ريعها^(٢)

كان الحديث خليط أفرح ، وأحزان ، وجد صارم ..

صد أن يجتمعا فيه ، فلم يقظان ، وبقطة عالم ..

قالت له في رقة :

«ساعيش بعدك في الحياة بمفردى

ساعيش بالذكرى ، وأرقب من وفاء الدهر عودة أحمد ..

ولسوف تذهب أنت .. سوف تعيش في لجج الحياة الباهرة

ستعيش في نور المدينة .. حيث تبهرك العيون الساحره ..

أخشى الذى يخشاه قلبى .. أن تميل إلى بنات القاهرة ،

وبدا على وجه الفتى جد ، مكان طلاقة وتبسم

وبدا على وجه الفتاة الحزن ، حزن ملاحه وتجهم ..

وهضى يلمتها ، فقال لها :

«ثق في قوى وإرادتى

مالى سواك سعادة .. مهما لقيت ، فأنت أنت سعادتى ،

وتبادلا نظر العتاب ، وأقبلا نحو البيوت الصامته

تركا بشط الجعفرية عهد حب .. من شفاء خافته ..

وعلى الطريق تفرقا .. فضت لمنزلها كظلي رانع ..

ومضى الفتى الموهود أحمد .. يستحث خطاه نحو الجامع !

عشرون صنبوراً ، تصب الماء عذباً ، نوره يتصو

في أربعين يداً ، شيوخاً أو شباباً .. أقبلوا فتوحشوا !

ومضوا تباعاً يسرعون .. فهل رأيت عيناك أحمد يسرع

(١) شيعها ، أى نحوها .

(٢) في ريعها ، أى في ريعان شبابه .

والماء يقطر منه ، والمصباح نورٌ في العيون مشعشع ؟
حتى إذا قضيت صلاة الجمع ، واصطنعت رحاب المسجد
وتقدموا نحو المقام .. رأيت أحمد في المقام الأحمدي ..
في السيد البدويّ ذي الأنوار ، في الورد النضير الأعطر
والسيل متصل الطواف ، يفيض بين مهال ومكبر ..
واندس أحمد في الزحام ، وأمسكت يمينه بالحلقات ..
ومضى يناجي ربه ، بين الجوع ، بخالص الدعوات ..
يدعو الاله ، ويستعين بفضله .. وإذا بشيخ أبيض .
كالفارس الحرّ الملمّ ، والجواد مهياً للركض ..
لم يدرك حين بدأ له .. هل راح يغمد سيفه أم يتنصّى ؟
لكن تطلع نحوه .. فأحسن برداً خالصاً في صدره
وأحسن إيماناً عميقاً ، مثلجاً منه قاتر ظهره :
ورآه يدنو منه مبتسماً ، وطلعت كبد أشرفاً ..
والحجة البيضاء سائلة .. تحدث بالمهابة والتقى
وتكلم الشيخ الجليل ، فقال :

أهلاً ، مرحباً يا أحمد ..
لا تشك منذ اليوم هماً طارفاً ، فلسوف يرضيك الغدُ
قضيت حوائجك العريضة كلها ، مادمت في باب النبي ا
سنتال ما ترجوه من علم ، ومن مجد ، ورفعة منصب ..
ولسوف ترحل في البلاد .. تروءا فيها ، وتعرف أهلها ..
ولعل مصر هي يدك ستستقل .. لعلها ، ولعلها ..
لكن حذار من العدا .. وحذار ثم حذار من كيد العدا
الإنجليز ! فإنهم في مصر شرٌّ من استبدّ أو اعتدى :
إني أرى جندهم .. وأرى مدسه إليك مصوباً ..
أفه يلغنه ، ويغفله ، ويثنيه الغداة غنيا ..

ومن الهدايا نجيحك ١.

وابتلع الزحام الشيخ ، والوجه اختفى ..
واجتاح الأمواج أحمد في الطواف ، ولاح باب المصطفى !



وهناك في بيت فسيح رحبه ، كان اللقاء الصاحبُ
جلس الضيوف بهو الاستقبال .. كل الجالسين أقارب !
الجد ، شيخ لم تهاده السنون .. على العصا يتوكأ ..
في قلبه عطف ، وفي عينه نور مشرق يتلألأ ..
واللحية البيضاء تشمله .. وتلف العباءة حوله ..
وحديثه شهد .. فكل الجمع إنصات لسمع قوله ..
والعم عبد الله .. أستاذ الشريعة في المقام الأحمدي ..
وبجنبه جلس «الذريعي» .. الابن .. وهو مجاور في المعهد ..
والشيخ نور الدين .. شيخ الجعفرية .. ذاك والد أحمد
من كان حل لتوّه في الدار .. بعد صلاته في المسجد ..
ليعدّ عدته إلى سفر مصر .. مع الصباح الباكر ..
فالأل بين مشجع ، ومودع ، ومناصح ، ومسامر ..
حبّاله ورعاية .. فقد أصبح طالباً في الجامعة !
وتكلم الشيخ الكبير .. فكلهم أذن إليه سامعه ..
قال :

« اسمعوا من قصتي طرفاً .. لقد أدركت عهد عرابي ..
والهوجة الكبرى .. أخوض الموت .. بين مدافع وطوابي ..
إذا جمع «النذل» ، الخيانة ، وانضوى تحت اللواء «الغادر»^(١) »

(١) النادر مرفوع تابع للنذل ، وكلاماً صفة لموصوف محذوف والمقصود به الخديو
توفيق الذي انضم للإنجليز وخذل جيش مصر في تلك الحركة .

وأنت جموع المعتدين ، فردّها للشعب جيش ظافر ..
وبدت أساطيل العدو ، يقودها سيمور .. ذاك الأحق ..
ويقول والمنظار فوق المقلّة العوراء .. هيا أطلقوا ..
حتى إذا صمدت دغهور العظيمة .. والعدو تهقرا ..
جعل الخداع وسيلة ، ففزا من الشرق المدائن والقرى ..
وأعانه «دلسيس» ، فأتتهك القنال ، وكلّ عهد مبرم ..
فلو أنها ردمت بلغنا النصر .. إلا أنها لم تزد ..
وهناك في التل الكبير ، جرى قتالٌ بالسلاح الأبيض ..
وتلاحم الجيشان ، في يوم علينا مثله لم يفرض ..
لا تمجّوا ، وتكذّبوا .. فلقد شهدت الحرب في إبانها
كانت بكفي البندقية .. لا نغيّب .. بنارها ، ودخانها
ومدافع الأعداء تطلق نوحنا ، لكنني سددتها ..
وأصبت جنديين ، صدتهما بها .. مثل الحمامة صدتها ..



وتمايل السمار إعجاباً .. وقال له هنالك أحد
«يا جدّ ! هذي ذكريات الأمس ، وهي كريمة» لا تحمد
إن كنتم قصرتم بالأمس في حق الحى . فلنا الغد ..
فلو أننا كنا هنالك يومها ، يا جدّ ، كنا نفتحم ..
لولا نكوصكم على الأعقاب .. ماصرنا مؤخرة الأمس ..
وأظنّ أنك لا العدو أصبت منه .. ولا الحمامة صدتها ..
لكنها هي نكتة يا جدّ .. في أخرى الحديث .. أردتها ..

فتبسم الشيخ الكبير وقال :

«يا ولدي ! هداك الله ..

أترى الجنود مقصرين ؟

فقال نور الدين :

« يا أبتاه .. »

هذا الفق غرّ .. سيعلم في غـد علم الحى وشئونه
هو مثل أنداده .. باقه دعه لجهله وقتونه !
الانجليز اليوم أقوى دولة فى الأرض .. ماذا نفعل ؟
واحتد أحمد .. قال :

« نظردّم ! »

فقال أبوه ..

« أنت مغفل ! »

الانجليز !؟ ألا ترى ؟ ربع البسيطة أصبحت أملاكهم ؟
قد أنشأتها امبراطورية .. أخلاقهم ، وسلوكهم ...
هل تدرس البلدان ؟^(١)

قال :

« بلى ! »

فقال أبوه :

« أنت مخيب ! »

أفأ علمت ؟ إذا بأن الشمس عن أملاكهم لا تغرب !؟
فأجاب أحمد :

« ذاك الاستعمار ، يا أبتاه .. تلك القرصنة !
وهناك هم أبوه من غضب عليه وثورة أن يلعنه ..
وتدخل العم الشفيق ، فقال لابن أخيه قولا لينا
ولدى الدريز الصغير ، وشـام^(٢) أمراً لا يراه هينا
وأهاب عبد الله بالفتين :

« يا ولدى ! لا تتمجلا »

(١) علم البلدان هو علم الجغرافيا .

(٢) شام ، أى موقع ولع لى الجو من بيد .

الكل يكره الاحتلال ، من الذى ليلاده يرضى البلاء ؟
لكننا ، لو تعللنا ، لأمرنا ومعاشرنا تتحائل ..
نبدى الرضى حيناً ، ولكن عن حقوق الشعب لا نتنازل ..
أرأيتما للسنديانة والسنايل .. فى مهب الزوينة ؟
ما مال عاد مع النفسيم .. وما أبى لم تحتشم أن تقامه !
وأبوك ، أحمد ، وهو شيخ الجعفرية ، وهو عمدة خطها
لا بد يصطنع الدهاء ، لكى يشيد داره فى شطها ،

وتضاحكوا ، وتغامزوا .. ومضى رخيا بعد ذاك السامرُ
ومضى يفكرُ أحمد فى باكر ..
وماذا يخفى باكر ١٩ ،

وتكلم الشيخ الكبير ، فقال :
« أحمد ! إن بلغت القاهرة
فوصيتى لك يا بنى ، هى الصلاة .. مع الأئمة حاضره !
وزيارة الأقطاب .. فهى جلب دنيا ، أو سعادة آخره !
إن كنت فى طنطا تزور «صباح» أو تمضى إلى «شيخ العرب»
فهناك الأقدار تسطع .. أين من أنوارها ملح الشهب ؟
فى مصر شيخ الأولياء .. بها الحسين .. لعله لك ينظرُ
وهناك زينب ، أو نفيسة ، أو سكينه .. والمقام الأطهر
والسيد الدرديرُ والقوال .. والقطب الكبيرُ الأنور .
وأبو السعود هناك فى الصحراء .. عما شئت لا يتأخر ..
قال الفقى :

« من غيرهم يا جدُّ ؟ قل لى .. إنما هم أكثر ! »
وتضاحك السارُّ ، واتهبوا ..
فقال الجدُّ وهو يفكرُ

• الأزهري المعمور.. فيه النور .. فيه قطب مصر الأكبر،
قال النقي :

• ما فيه قطب .. إنما هو لو علت - الأزهري ،
فأجابه الشيخ الكبير بحدة :

• أنا صادق ، لا أمتري

• عال من الأقطاب مدفون بساحته .. يسمى الأزهري ،

ثورة الشباب

جلس المسافر في القطار ، وصاحت يمناه كل مودع
 وجرى به عجلة .. وأسرت الخواطر كالقطار المسرع
 لم يلتفت لزحام ركاب حواليه ، وصوت صاحب
 وحقائب بين المقاعد ، في تراكمها ، وفوق مشاجر ..
 ومناظر للريف ، يرسمها له الشباك خلف زجاجه
 والنيل ، إذ عبر القطار علىه ، وهو يخب في أمواجه ..
 والجالسين أمامه ، والرافعي أصواتهم من خلفه
 والغادة الهيفاء .. ذات الحسن ، يعجز شاعر عن وصفه 1
 ذهبت به الأفكار ، حين مضى القطار ، مذاهباً ، ومذاهباً
 نهب القطار الأرض ، لكن فكره لب كان التاهب
 ومضى يفكر في أليه ، وفي مقالته ووزر كلامه ..
 هذا هو الجيل الذي رضى احتمال الذل من حكمه 1
 هذا هو الجيل الذي فتح الطريق لمستبد غاصب
 المستبين بكل مايجرى .. فامن - ثائر ، أو غاضب 1
 ومضى يحدث نفسه ، ويقول :

« مامن ثائر ، أو غاضب ؟ »

رباه ! هل أخنى علينا الذل ، أم فرضت علينا المسكنه ؟
 رباه ! إن الحر لا يرضى بأن تطل النواصب موطنه 1
 لولا هزيمة جيشنا بالتل .. بل لولا الخديعة بيتنا

لولا الحياة .. لم يكن للإنجليز بمصر روض يجتني !
لكنهم بخيانة الضعفاء منا ، والدسيئة أقبلوا
وإلى مرافقتنا ، وكل شئوننا . كالأخطبوط تسللوا ..
الجيش سرّحه الطغاة ليأمنوا طول المدى وثباته
والشعب في السجن الكبير تكفوه من جميع جهاته
لاجيش ، لا تعليم ، لا أخلاق ، لا آمال يشرق نورها ..
ذلت وهانت أمة ، بيد الدخيل الأجنبي أمورها !
والجالس التركي فوق العرش .. من ذاك الدعي ؟ من الصنم ؟
هذا الخديوى الذى صرنا به أضحوكة بين الأمم ..
لا بل هو اليوم الأمير المقتدى . لا بل هو اليوم الملك ..
هذا الذى فى شعبنا المنكوب أصبح يستبد ويمتلك !

وأحسن أحمد أنه بلغ الذرى فى حسبه وشعوره
ورأى الخطورة كلها عقبى الجريء الفذ من تفكيره ..
لكم .. لماذا خاف من مجلسون أمامه . ووراءه ؟
هل يسمع التفكير ؟ أم هل يقرأ القوم الجلوس إزاءه
فيض الخواطر وهى تعبر ذهنه فى سبحها . وطوافها ..
كبحيرة ألقي الرجال شباكهم للصيد فوق ضفافها !؟

منحت هنالك لفتة منه لقوم حوله جلساء
للشيخ ، للأم العجوز لزوجها ، للقادة الحنساء
هم قادمون من القرى والريف .. لكن لا يشك بأنها
جاءت من الإسكندرية والمصيف .. فياها . يا حنساء !
لكن أحمد وهو من بيت له أخلاقه وأصالته ..
لم يندفع فى غيه نزقا ، ولم تغلب عليه جهائنه
بل راحت الأفكار تغمره كلج البحر فى إزباده

ومضى يفكر فى الذى هز المجامع من شئون بلاده
 فى المرأة المصرية العصماء . بين سفارة وتحجب
 شتان ماريفية فى الحقل .. أو حضرية فى المكتب ..
 هذى هى البكاء من جهل .. وتلك لطيفة ومحاذنه ..
 هذى فتاة الريف جاهلة .. وتلك عن الحقيقة باحة !
 واجتاحه ، فأشاع فى النفس السرور . له شعور غامر
 وبدا كوجه الشمس ما بين النجوم من الخواطر خاطر
 ومضى يحدث نفسه ، والنفس من فرح إليه سامعه
 ويقول :

بعد غد . تكون معى ، هناك ، زميلة فى الجامعة ،

وأنى صباح السبت . . والتقت الآلوف من الشباب الناضر
 فى ساحة الحرم المقدس ، يقبلون مع الصباح الباكر ..
 يتوافدون على الحى ، بين الحدائق ، كالحضم الزاخر .
 فجمعوا ، وتحدثوا فيما يخص نفوسهم . وبلادهم
 بدأوا لأجل العلم ، واستقلال مصر . مع الشروق جهادهم
 ورأيت أحمد بينهم متحفزاً . وكتابه يمينه
 يخطو هناك إلى المدرج . فى رزاته : وحر جينه ..
 وبجنبه سعد ، وإبراهيم ، وابن الجابرى ، ومصطفى .
 ووراهم عيسى ، ومحمود الشريف ، وصابر ، وأبو الوفا ..
 وهدى ، وبشرى ..

هل سألت :

« ومن ترى بشرى تكون ، ومن هدى ؟ »

هذا سؤال قد أصبت به الصميم . قلب أضعفه سدى ..
 كانت هدى هى عين صاحبة القطار .. فكيف تعجب أحمد
 الآن .. هاهى ذى .. يادلها الحديث .. وخدتها يتورد ..

خرجت وبشرى الجهاد ، زميلتين ... أصابتا عين المني
وطليعةً للتألمات . . . بدان تحقيق المطالب من هنا^(١) . . .
وكفاهما سبق الزمان ، والانفراد على الطريق إلى العلي
بين الشباب ومثله . . ليكون للوطن اللواتى كالألى !

* * *

وتقدم الأستاذ فى سميت الوقار إلى المدرج . . . وارتقى
درج المنصة . . . واستقام له البيان فصاحة أو منطقاً
بعضى المحاضر ، أو ينجى سواه . . . ذلك هو الجهاد المتصل . . .
ومعارك التفكير عتدم نظاهما ، كالأتون المشتعل
هذا أديب عن شئون الفكر عند أبى العلاء يحاضر
القول فصل ، والخواطر ثرة . . . والصوت عذب ساحر
ومسجل الأحداث عن مصر العتيدة ناقداً ومؤرخ
يكسو الحوادث حرر منطقته ، فيثبت ما يشاء وينسخ
والأجنبى محدث عن شكسير . . . سميت به أشعاره
والفارسي علق فى الشاهنامة . . . لا يشق غباره
ومحائف الحكاء يجمع لفظها بين الطرافة والقدم . . .
ومعارك الغدري الصينيين قائمة هناك على قدم . . .
هل أبصرت عيناك أحمد . . . بين قاعة بحثه والمكتبه
فى ذلك الجو الخفق ، والحياة إلى النفوس عبيه . .
دم الباب يغىض ملتباً ، وتنبض باليقين عريقه
والشعب . . يأمل أن ترى على يدى هذا الشاب حقوقه ؟

* * *

فى ذلك الجو الملبد ، والخطوب على الحى تتابع
والمتبدي برومة^(٢) . . يشتط فى طغواه ، لا يتراجع

(١) ضمير جمع المؤنث فى بدان يعود على التألمات .

(٢) الشهور بنحو موسولوى .

والأسمر الحبشى . . . فى الأحرار شاء يستعد للمركة ،
من الرجال بعدوة^(١) أخرى ؟ ولكن الصفوف مفككة
فى كل يوم بالقتال تمر باخرة ، وترجع باخرة . .
والحرب ايطالية حبشية . . . فلن تكون الدائرة ؟
محصورة بالدولتين . . . وإنها بالعالمية^(٢) منزهة
فإذا هى اندلعت ، فنارٌ للحضارة والحياة مدمره !



فى ذلك الجو الرهيب ، تجمعت فئة بنادى الجامعة
يتحدثون عز، المصير ، عن البلاد ، لهم قلوب هالمة ..
ومضى يقول أبو الوفا :

« إنا عرفنا الإنجليز ، وغدرهم
إن قامت الحربُ التى نخشى ، فقل لى كيف نأمن مكرهم ؟
فى المرة الأولى بذلنا جهودنا - بذلا .. لنضمن نصرهم ..
حتى إذا انتصروا ، بنا غدروا .. وما منعوا هنالك شرهم ..
وتحرشوا بالشعب ، وانطلق الرصاصُ على الشبيبة وابلا
أما الزعيم فات منفيًا ، وأما شعبه فقائلا
غازوا بما طلبوا . وضعنا نحن بين تظاهر ، ومفاوضة !
وأجاب صابر :

« لا يجوز الصبر .. هل تعطى الحقوق مُقَابَلَةً ؟
هى فرصة الأجيال ، يا زملاء ، سانحة لنا ، فلنتهز ..
فلنبذل الأرواح ، مرتخصين غاليتها .. ومن يبذل يفز !
وتكلم ابن الجابرى .. وكان من بيت النبالة والغنى ..

(١) موقعة عدوة المشهورة وقت بين ايطاليا والحبشة عام ١٨٩٥ وفيها انتصرت
الحبشة وسدت الفزو الايطال عن اراضيها .
(٢) المقصود الحرب العالمية .

قال :

« اسمعوا .. لن يقبلَ الحزبُ المهانةَ أن نحلَّ بشعبنا ..
إن الزعيمَ له مواقفهُ المشرقةُ ، العظيمةُ بيتنا ..
ومنى أهلب بنا الزعيمُ فسوف نلحقه ، وننصر حزبنا ،
فأجاب صابر ساخراً من قوله :

« ما للزعيم وللوطن ! »

فليذهبوا ، وليجلسوا بيوتهم .. إن البلاد ستمتحن .
الفرصة الأولى مضت ، وتبددت ، بعد القتال الأول
سعدٌ وعدلٌ فرقاً ما بيننا .. فكلّهما لم يعدل
أنصارٌ على حدّثوا أن الرعاعَ وراء سعدٍ قد مشوا
ورجال سعد أظفَعُوا في القول عما يضرّون وما اختشوا
قالوا الحمايةُ إن أتى سعدٌ بها ، فهي المني ، وهي الطلبُ
وإذا أتى عدلٌ بالاستقلالَ رفضه .. كذلك بلا سبب !
أرأيت ؟ هل ترضى بها يا صاحبي حزبية عيياء ؟
لا .. بل لنصرع خصمنا بسلاحنا .. أو فلنمت شهداء ! ،

وتكهرب الجوُّ .. استبدَّ بصابرُ إيمانهُ ، بل ثورتهُ .
وتلفتَ ابنُ الجابري ، وضاع منطقهُ ، وزاغت نظرتُهُ ..
واحمر منه الوجه ، ثم اصفر ، ثم اخضر .. بما قد سمع
وأزاح مقعده الكبير .. وثار منسجياً .. وممّ فاجع
ومعنى .. وإبراهيمُ يتبعهُ ، وسعدٌ ، والشريف ، ومصطفى .
ومضت دقائق .. ثم سار وراءهم عيسى .. وقام أبو الوفاء ..

لم يبقَ إلا أحمدٌ .. فدنا لمقعد صابر ، فتكلّم
سراً هناك الليل ، فاصطحباً ممّاً ، واستعرضاً أمر الحى .

نعم الزميلان اللذان تعاهدا أن ينصرا وطنيهما
تدآن، هذا من صميم الشعب، من طنطا.. وذلك من طما.. (١)
إذ قال أحمد :

« ما الذى قد أكره ابن الجابرى لينسحب؟ »
فأجاب صابر :

« قد ذكرت له الحقيقة ، فاستبدَّ به الغضب
حزبية عيأ تحكم مصر .. هل أدركت ؟ ذلك هو السبب ! »
فضى يقول :

« ومن هو ابن الجابرى؟ »

فقال صابر :

« لا تسل »

هذا الفنى ابن الفنى .. إلى الزعيم بجاه أسرته وصل ..
أرأيت يمشى . فيمشى خلفه أتباعه ، وذبوله ؟ !
فيصفقون لجهله ، ويؤمنون عني الذى سيقوله ؟ !
ماشأنته والشعب ينطق باسمه .. والبغى سره وجوده ؟
والظلم والإقطاع منشؤه .. ومنشؤه أهله ، وجدوده ؟
إن الخداع اليوم ملء الأرض .. ملء الناس .. ملء المجتمع
فاحذره أحمد .. واحذر الأحزاب .. لا تركن لها .. لا تنخدع
هذا زمان كل من فيه أناق .. يقول ، أنا ، أنا ..
البحث فيه عن الغنيمة والحرام .. هو المنى ، كل المنى ! »

(١) طما بلدة بالصعيد ، وطنطا بالوجه البحرى ولعل هذا مما يفسر لفظ « وطنيهما »

صيفة المني في البيت السابق .

(٣١)

يوم القنطرة

بدأ الشبابُ مع الصباح بساحة الحرم المقدس يلتقي
من ثائر، ومحرض .. أو هاتف ومردد .. ومصفق
جعلوا سقوط الانجليز نداءم .. بنس العدو الأنكد
بالأس قام وزيرهم^(١) في الجاند هول^(٢) .. لشعنايتو عد
كان الخطاب هو النذير .. فقال صابر هاتفاً :

« يا أحمد !

أقرأت ما قال الوزير المستبد ، وما أهان ، وما شتم ؟
قد قال : إنهم الذئاب الحاكون .. ونحن في مصر الغنم ! »
فأجاب أحمد :

« ويجه اهل قاهنا ؟ بل نحن أسياذ الأمم
نحن الآلى شدنا الحضارة ، والعبارة ، في الزمان الأقدم .. »
فأجاب صابر غاضباً :

« ماذا تقول ؟ أفي الزمان الأقدم ؟
بل نحن أهل اليوم .. أبناء الحقيقة ، والزمان الحاضر ..
ماذا تبقى لابن مصر اليوم من صفة الكى ، الثائر ؟
لا بد منها ثورة كبرى ، تسيل لها الدماء .. أتفهم ؟

(١) الوزير هو المستر سمبول هور صاحب التصريح المعروف الذى كان سبباً لاندلاع

ثورة مصر عام ١٩٣٥

(٢) الجلد هول Guild Hall القاعة التى ألقى فيها هور تصريحه فى مدينة لندوه

اليوم نعلنها .. ونشعلها .. وترك ناراها تنضم' ،
فأجاب أحمد :
« كيف ذلك ؟ »

قال صابر :

« إنني أقدم .
أقبل .. ولا تخش المنية .. ما الذى نسق ؟ وماذا نعلم ؟
كأس الممات أم المذلة ؟ »
قال :

« بل كأس المذلة علقم ! »
واحدة صابر :
« هل نعيش .. ومصر في أصفادها تتألم ؟ »
فأجاب :

« لا بل تموت فدى الحى .. وتعيش مصر وتسلم ! »

وتحمهر الطلاب فى الساح المقدس يهتفون من الضجى
وتتابع الخطباء .. هل حى الوطن ، ودارت اليوم الرحى ؟
ماذا جرى ؟ إن الحماسة فى الشباب سعيها يتأجج !
من أشعل اليوم النقاب ؟ ومن اصطفى نارا ؟ ومن يفرج
وتلقا وتطلعا .. حتى إذا عرفا الحقيقة صفقا ..
هذى فتاة فى الجوع ، قد ارتقت فى الجد أشرف مرتقى
ظهرت هدى ولقد عرفنا فى سماء البقرية من هدى : ..
ظهرت لتهتف للجهاد .. وتستحث الشعب ، صاذقة النداء .
فعم الخطيبة ، وهى ترسل صوتها عبر الفضاء مجلجلا .

تدعو الآية^١، والآي^٢، إلى الجهاد، إلى الدماء، إلى العلى^٣.
تدعو الشباب .. فتستثير من الشباب دماءه وعروقه ..
قد كان في طلبات غفلته^٤، فأشرق، واستبان طريقه^٥ ..
لم لا يخوض الموت إعصاراً، ويقتحم المعارك عاصفه؟
لم لا يكون نذير هذا اليوم للأعداء حرباً قاصفه؟
مضت العصور، ونحن في هذا السبات على المدى .. فالى متى؟
إن كان نفخ الصور يوم «الجلد هول» .. فقد بعثنا الميتا^٦ !

هبطت خطية ذلك اليوم الرهيب .. وراح يحمدها الملا ..
تقدم ابن الجابري إلى المنصة .. مبثلاً ، مستملاً ..
وراء النفر الكرام .. يهتفون ويفسحون طريقه
وبدا بموقفه ، وخاتمه يشمعه في النهار بريقه ..
وبخصره يسراه مسنده .. ويماه تشير بإصبع ..
ويقول:

«مهلاً أيها الزملاء .. إيدن» كاذب ، بل مدع ..^(١)
من ذا أقام اليوم إيدن حاكماً في مصر؟ من ذا وكله؟
هل نحن أتباع له، أم أننا أحرار؟ تلك المسألة !
وتتابع التصفيق .. قال :

«ونحن نجهر بالهتاف ونعلن ..

قولوا ليسقط إيدن !»

(١) كان إيدن وزيراً خارجية إنجلترا عام ١٩٣٥ ، وقد أتيح تصريح هور يو.ثند
بصرح مماثل ، مما جعل شباب مصر يهتفون بسقوطه . ويلاحظ في آخر هذه الملحة أن
إيدن نفسه كان هو قائد حركة المدون الثلاثي الناشم على مصر عام ١٩٥٦ ، والتي انتهت
بهزيمته المروفة ، واعتزاله السياسة ..

فتعالت الأصوات ..

«يسقط» «يدن» ..

ومضى الخطيبُ يتمُّ خطبته ، فقال ..

« .. ونحن متحدون ..

وطنية الزعماء فوق الشك .. فالزعماء مؤلفونا .. ،

وتدافع الطلابُ كالبحر الخضم ، غدا يغور ويلتطم.

وعلا الهتاف .. وصار كل منهمُ ليثاً يثور لينتقم ..

هتفوا لمصر ، وللعداء الحرّ .. واندفعت بواب الجامعة

فئة مرددة نشيد الثائرين .. له مقاطع رائعة ..

راحت ترددها تباعاً في الحاسّة .. والجموع تردّد.

هذا نشيد الثائرين .. فكل من حفظ المقاطع ينشد!

نشيد الثائرين

جاء يوم الجهاد في سبيل البلاد

ذاك يوم التناد فاصرخوا في عناد

نحن أهل الجلال قادة لا نقاد

زال عهد الرقاد رمزنا الاتحاد

نحن قوم أباه أهل عز وجهه

قد رفعنا الجباه ورَهَبنا الحياه

مذ طردتنا الرعاه شعبنا في علاه

أى شعبٍ سواه قد أنى ما أمناه ؟

جاء يومٌ مبين من وراء السنين
يوقظ الغافلين عزمكم لا يلين
فانهضوا نائرين واطردوا المعتدين
وانفتحوا باليقين كل حصن حصين

كان يوم الحساب في ضمير الكتاب
كم حمائنا العذاب ووردنا السراب
ثم لاح الشهاب بعد طول الغياب
فانحأ كل باب فاغضبوا يا شباب

قد شرعنا الرماح للعلی والكفاح
جاء يوم الفلاح كلٌ نصر متاح
مصرنا لن تباح أو تفور الجراح
فاصرخوا في البطاح السلاح ، السلاح !

قد بذلنا الدماء للعلی والفداء
لاح صبحُ أترجاء حلٌ يوم الجزاء
فاطردوا الأذعياء واصرخوا للسماء
منقذ النيل جاء فالجلاء ، الجلاء !

هو تقدم الزحف المقدس بعد ذاك يسير صوب الفاهره
مشت الألوف من الشباب ، قوية ، صخابه ، متظاهره ..
حملوا السلاح إلى عدوم الآلاد .. حجارة ، وحديدا
يتزاحفون كتابياً ، ويرددون هتافهم ترديدا ..

شهدت على ذاك السماء ، وطافت الأملاك يوم القنطرة
 ما أعظم الزحف المقدس ، في تقدمه ، وأروع منظره
 والنبل يُرهف أذنه .. وكأنه قد كفّ عن جريانه ..
 يصنى إلى فيضان أرواح الشباب . : أشد من فيضانه ..
 حتى إذا عبرت عليه ، تجوز قطرة الردى ، أفواجه
 وقع الذى هدر الزمان به .. كما عدت به أمواجه
 وتقدمت سيارة غبراء ، من قلب الجزيرة ، مسرعه ..
 وترجل الأعداء .. من ممر الوجوه .. من الجهات الأربعه ..
 ركبوا على الأقدام ، فى ساح القتال .. ودوت الطلقات ..
 وتساقط الشهداء .. واختلط النداء وعت الصرخات ..
 وتصارع الحصان .. نكن المارك لم تكن متكافئه ..
 وأحست الأرض الحزينة بالدماء .. تسيل .. حصى .. دافئه !



وأحسّ أحمد بالدماء ، تسيل من يده .. وتصبغ ثوبه ..
 لكنه لم يلتفت إلا لصابر .. وهو ينزف ثوبه ..
 لله نجدة صابر .. لما رأى أن الرصاص قد انطلق ،
 وأصاب من زملائه حراً .. لجذله ، وللصدر اخترق ..
 ورأى الشهيد أبا الوفا .. يلقي رصاص الإنجليز بصدرة
 كالتي لم تنكص على عقبيه ، أو يُشهد مولى ظهره ..
 ورآه يهوى ميتاً ، مثل الحمامة صاها صاها ..
 ورأى الحياة .. بريئة .. عزلاء .. قد أودى بها جلادها
 فهناك ثارت منه نخوته ، ووقد النار فى أضلاعه
 ومشى إلى الجلاء ، فى عزم الآبى ، وهزه بنراعه
 لكنه .. ما كاد يفعل ذاك ، يبنى النصر من أعدائه
 حتى تلقى بين جنبيه رصاصته وفى أحشائه !

وصية الشهيد

رغد الجريح على سرير الموت . والدم سائل يتدفق
ورفاقه من حوله . فضمّد أو هالغ ، أو مشفق .
وتقاطر الزعماء . والكبراء . والزملاء ، والآباء . .
وفدوا على . دار الشفاء . . وكلهم للأبرياء دعاء
بتعاضمون الخطب . لو يرجى لخطب المعتدين شفاء
يستكرون الجرم ، لم نبلغ مداه جريمة نكراه
بلغ الزحام مداد . . واثاث جموع الشعب في الطرقات
في كل حين يحمل الجرحى . . ويجرى الهول في الحجرات
وتلوح أشباح الممات وتحتفي . وتعاود الأشباح
ولوجه عزيرل الرهيب لمن تأمل . غدوة ورواح
رعلا نصباح . . فاقشعرت منه أجساد الجوع الهالعة . .
وتدافعوا . . وتصاحبوا :

« سرقت يد الجاني شهيد الجامعة ! ،
وخلا المكان .. كما خلا عند الضحى بالشط ، بعد المذبحة ..
وتصاحب المتدافعون .. وركبهم يشد نحو . المشرحة ، ا

سكن المكان هنية قصرت . . وساد الصمت كل العنبر
حتى تحرك في سرير الموت صابر . . ذو الجبين الأصفر
متلفتاً من حوله ، متسائلاً عن صحبه ورفاقه
ذبلت نظارته ، ولكن لا يزال الذهن في إشرافه . .

فرأى بجانبه من الجرحى ، أعزّ رفاته يوم الدم
يا ويحه ! من ذاك ؟ أحمد ؟ هل أصيب ؟ فإنه لم يعلم
هتف الجريح إلى الجريح ، وروحه في صدره تتحشج
ودنا الصديق من الصديق ، وناره في قلبه تتأجج
راح أحمد ساهماً ، مستجمعاً أفكاره ، يتذكر ..
ويقول :

« هذا حلم يقظان .. وقد مرّت عليه أشهر
شيخ تقدم في مقام السّيد البدويّ منى وأقرب
ومضى يحذثنى حديثاً ، قد تحقق كله .. يا للعجب !
إذ قال لي فيما يقول : حذارُم حذار من كيد العدا
الانجليز .. فإنهم في مصر شر من استبدّ أو اعتدى ..
إني أرى جندبيهم .. وأرى مدّسه إليك مصوباً ..
أسمعت صابر قوله ؟ رأيته منذ اليوم أمراً أعجباً ؟
ها قد لقينا الانجليز ، وقد أصبنا كلنا برصاصهم ..
وأجاب صابر :

« بل عرفنا غدرهم بالشعب من إخلاصهم !
فأثار دهشة أحمد هذا المقال . وراح يسأل :
« من هم ؟ »

قال الشهيد الحى :

« هم أعداؤنا بالحق » ، فاحذر منهم ..
الخائنون لعهدنا ، ولعهد مصر .. أأستعجب ؟
المستغلون الزعامة والدعاء .. ليسرقوا ، ولينهبوا ..
قل لي بربك ، أين راح المجابى الشهم . وابن المجابى
ترك الرصاص وناره .. لأبى الوفا ، ولأحمد ، ولصابر ..
ومضى ليتهف خلف هفاف الستائر .. للزعيم ، وللوطن ..

ومضى ليقبض أجره أيضاً . . أخطب في الشباب بلائهم ؟
قدنا المظاهرة الرهيبة وحدنا . . وبتأطري رأيتهم .
متسللاً عند الخروج . . ولم يجنى عند ما ناديتهم ..
ركب الزعيم^(١) وحوله أتباعه ، سيارة سوداء ..
هم يهربون لدى اللقاء . . ونحن نسقط وحدنا شهداء ! .

وتدافعت زمر الشباب ، وأصبحت عبر المسالك تقترب .
وتبين البطلان أفضالاً ، تمر عجيبة ، بين الصخب
علماً بأن الجند قد سرقوا الشهيد . . وغسلوه ، وكفنوا
حموله مخفوقاً لبلدته .. بليل .. واحتواه المدفن ..
فجرت دموع فوق خدّي صابر ورفيقه ، لأبي الوفا
بكيا لمصرعه .. إلى أن كف صابر ، ثم قال :

« كفى ، كفى ..

هذا شهيد نال من شرف الشهادة ، وهو أغلى الأوسمة !
ليست صارعنا بمؤلمة .. ولكن الخيانة مؤلمة !
إسمع إلى أخى .. فإن إصابتي منذ العشية بالغه ..
وأرى كلاب السوء في دم شعبنا الحر المجاهد والله ..
إن مت فاحفظ عهد إيمان يؤكده لديك إخواننا
عهدى إليك أخى بأن الانجليز .. هم هم أعداؤنا !
إن عشت أنت فلا تهادنهم ، وحاربهم إلى أن يقهروا
أن يسقط الشهداء ، إلا هب أبطال الفداء ، ليتأروا . . ،
فبكى الصديق وقال :

« كلا ، بل تعيش أخى ، لنخرجهم معا . . »

(١) أراد بالزعم ابن الجابري ، لتشبهه بزعم الحزب ، ولأنه كان يطلق عليه يومئذ
زعم الطلبة أيضاً . .

وأجاب صابر ياسماً :

« أبطالنا لا يذرفون الدمعاً ..
عش يا أخى بعمدى .. وجاهد ما استطعت ، لتستقل بلادنا
واحفظ هناك وصيقي : « الإنجليز هم هم أعداؤنا ! ،
أما أنا فأموت بعد هنية ... وأحس قرب الموعد ...
أنا لا أبالي أن تمزق جتى .. أو أن يفرق مشهدى ..
أنا للبلاد المفتدى ! »

فترددت جبارةً كلماته ..
كقصيف رعد فى الفضاء يعلو .. وتذهب فى علاه حياته ..
وكذلك اسلم روحه هذا الشهيد المرء .. بين رفاقه ..
وتقدم التاريخ .. بفتح صفحة الأبطال ... منذ فراقه !



آلى الشباب وأقسموا ألا يضع شيدهم أو يسرقا ..
باتوا بجانبه العشية ، يرقبون الصبح حتى أشرقاً ..
حفظوه ، وانتدبوا فريقاً يحفظون له جلال المركب
وتحرك المركب الحزين ، تراجعت أفواجه بالمنكب
وتقدمته جماعة الفتيات ... يحملن الزهور اليانعة !
وتدافع الأبطال دون النعش ، ذوداً عن شيد الجامعة !
ولقد أحس بكل ما يجرى زعيم الأغلبية ... فابتدر ...
ما جاء إلا أن ندا ، أو غريماً فى الزعامة ... قد حضر ..
وأحس أحمد أن واجبه يتأدى ، فأنسى جرحه
كم ناصح آلى عليه أن يعود ، فاقبل نصحه
بل سار خلف النعش ، يضرب فى ظلام الليل ، أو يرق الجبل
جاء الجريح لى يؤدى واجباً نحو الشهيد وقد رحل
دخل الوفى على الشهيد ضريحه .. وعليه قد نشر العلم

وتقبلت يده العزاء ، على الجراح ، وما أحست بالآلم
ثم اعتلى سطح البناء ، وقد تراكت الأزاهر حوله . .
يلقى خطاباً في الشباب ، وفي ظلام الليل ينشر قوله . .
ويقول للأبطال :

يا أبطال اهَذَا في الضريح شهيدكم
لن ينفع اليوم المتناف ، وإن تعالى في السما ترديدكم . . .
إنا نموت فدا المبادئ . . فليكن يومُ الفدا يومَ العمل . .
مصر العزيرة ترتجى منا الكثير . . ولم يزل فينا الأمل . .
هيا إلى التحطيم يا ثوار . . يا ثوار . . هيا . . حطموا . .
اليوم أنتم أقوىاء بما بذلتم للحمى . . فقدموا . .
إن الشهيد الآن يسمعكم . . ويخطب فيكم من قبره . .
لو شاء ألقي عنه من كفن الخلود . . ومن معطر زهره
لو شاء قام الآن في هذا المقام . . لكي يؤكد عهده
وليعلن بأننا سنكون أبطالاً ، كراماً ، بعده . .
الإنجليز هم هم أعداؤنا ، . . هذى وصيته لنا
لن نهمل اليوم الوصية بعده . . حتى نموت ، وندفنا . .
إن كان ينقصنا السلاح ، ففى يديكم يا شباب سلاحكم
العزم والإيمان ، فابتدروا ، لتبرأ فى القلوب جراحكم . .
إن الجراح لى القلوب . . وجرحنا كم غار فى قلب الوطن . .
الإنجليز هم العدو ... فينتنا أبدأ وبينهم الزمن ! ،



فتصاح الأبطال ، من بين الشواهد والقبور ، ودمدموا
هتفوا لمصر ، ولشهيدها ، وللجهاد ، وللقداء ... وأقدموا
يتدافعون من الأذقة ، والدروب إلى الطريق الأكبر ...
يتقدمون إليه من باب الوزير ... ومن طريق المنجر ...

في ثورة كالثورة الأولى غداة الحرب 'منضرم' نارها
حرب الكراهية الشديدة ، والمرارة ، لم تضع أوزارها . .
هذي الحجارة كالثقائف في الطريق تابعت متواصلة
يلقى الشباب بها . . كما تلقى القيامة بالرجوم النازلة . .
أين السلاح ؟ لو أنه حمل السلاح عرفت ماذا يفعل . .
يمضي العشي صوب قصر النيل . . يقتل في العدا ويمثل . .
الإنجليز هناك من عهد احتلالهم البغيض الآثم . . .
الإنجليز . . ومن لكابوس على صدر البرية جائم ؟ !

* * *

وتطلع المشدوه أحمد . . وهو يرجع في المزيغ لداره . .
ويرى بعين الغيب جيلا ، معلنًا بالحق عن إصراره . .
هذا الشباب يثور . . بل هذي مصايح الطريق محطمه . .
لن يهدأ اليوم الشباب . . وإن غدت كل المدينة مظلمة !

شمن الحبـاء

ما كاد شهرٌ ينتضى حتى تلاقى فى رحاب الجامعة
 زمر الشباب ، تجددت عهد الفدا صخابةً ، متدافعه
 ماجت بها الساحاتُ ، كالبحر الخضم ، إذا تلاطم فى غضب
 الثورة الحمراء تعلتها .. وقد رفع الستار عن العُشب^(١)
 وتراكت من فوقه الباقات ، من عطر الجراح ورودها
 وتابعت فرق الكتائب ، واستطالت للسماء بنودها
 أرايت للعلم الجديد الحر ، رمز للحديد ، وللدِّم ؟^(٢)
 يهفو بلوينه .. بأحر مشرق زاه .. واسود معتم .
 أما الشبابُ فتائرٌ حرّ . وأما عصره فجددٌ ..
 أنظر إلى الرايات فى ساح الجهاد ، كثيرة ، تتعدد ..
 يدهو إلى ثار ، يراهُ واجباً ، لأبى الوفا ، ولصابر ..
 لا بدّ من غزو المدينة .. بالجموع من الشباب الثائر



خرج الشبابُ لثأره متحفراً ، ولكم يرموهم إذا ثارُ
 متقدماً فى الجيزة الخضراء صوب النيل .. نيلٌ من بثّر ..
 وهناك قنطرة الردى ، وقفت له كالجنّ تنفد بالخطر

(١) الصب التذكاري للمهداء .

(٢) اتخذ الشباب يومئذ علما لنورتهم من اللونين الأحمر والأسود ، أحدهما يرمز
 للدم أو الاستمهاد والآخر للحديد أو القوة . ومن طريف الملاحظات أن حزين اللونين
 يوجدان اليوم فى علم الجمهورية العربية المتحدة بالإضافة إلى اللون الأبيض .

يا ويحه سقرى المدينة منه أهوال الزمان إذا عبر ..
عرف الشباب وقد تجمهر فوقها أن العدو له رصد
فعنى ليعبرها إلى قلب المدينة ، وهو يزأر كالأسد ..
فتحركت منها اللوالب ، واستدار الصلب ، والجذع انفصل ..
وكان باخرة تشق النيل ماخرة .. وتعلو كالجليل ..
شهد الشباب خديعة الأيام دبرها العدو وساقها
لم يلف قنطرة الردى مفتوحة ، حتى اتوى إغلافها
وكذاك يفعل مايعن له الشباب العبقري إذا اعتزم
وكذاك يدرك ما يؤمله الفدائي الجري ، إذا اتهم
إن الشباب مجازف .. وله قوى يوم البطولة خارقة ..
أنظر .. فهذا أحمد .. ينقض للباء انقضاض الصاعقة ..
عرف البطولة ، فاستعد لها ، وألقى في الخصم بنفسه
وتابع الأبطال لما أعجبوا منه بشدة بأسه .
أخذوا بأصل الاسطوانة ، فاستلان لهم حديد القنطرة
ومضت تدور كأنها بيد الشباب . كما أراد مسخره ..
وتدافعت زمر الأسود إلى العبور ، جريئة لا تقي
الشاطئ القربى تخليه .. وفي شط الجزيرة تلتقي
وهناك دارت كل ساعات النهار إلى الغروب المعركة .
وتتابعت فيها القذائف والرصاص ، فكان يوم الهلكة ..
كثرت به الشهداء ، والجرحى ، وشبت ناره في المنبل
والجند يتك الطريق ، ولا يعف عن اقتحام المنزل ..
وانسل أحمد ، في مغيب الشمس بين ثلاثة وقام
في زورقه ، عبروا عليه النيل صوب الجيزة الخضراء ؛



ذهبوا لمدار الحزب ، في ذاك المساء ، وقابلوا أصحابهم ..

لكنهم سمعوا حديثاً هدياً عزمهم ، وأمرأ رايهم
رأوا الزعيم يمر بينهم لحجرته الوثيرة .. غاضباً ..
ورأوه يصخب كلما لقي الشباب ، مجادلاً ، ومخاطباً
وتقدم ابن الجابري .. فصاح في الثوار :

«عاش زعيمنا !»

ورأى الآباءُ الصادقون مفاصد الأحزاب تظهر موهناً
رأوا التلق والرياء .. وكل أمر شأن لا يحمد
شهدوا اتجاراً ، بالمبادئ ، والشهيد .. فليتهم لم يشهدوا ..
وأفى الزعيم لينطب الثوار بعد هنية .. فتكلم ..
قال :

اسمعوني ، وانقلوا عني .. كفاكم ما أريق من الدماء ..
فأمورك قد أصبحت بيد الزعامة .. والزعامة ساهرة ..
أما الدسياسة فاحذروا .. إن الدسياسة في الدُّجى متآمرة ..
القصر أذلانا الرضى .. فكفاكم صخباً لئلا يفضبا ..
ولسوف يدعوننا لتأليف الوزارة .. مديناً ، ومقرَّباً
والإنجليز .. دعوهم .. وتجنبوا أن تهتفوا بسقوطهم ..
نخصوهمنا الشرفاء قد قبلوا التقدم من غيرِ بشروطهم ..
سنفاوض الشرفاء منذ غير .. ونعقد للبلاد معاهدة ..
نخذوا بحكم الصبر .. إن الحرب صبرٌ دائمٌ ومجاهدة ،
ومضى الزعيم يمر بينهم لحجرته الوثيرة .. راضياً ..
وتقدم ابن الجابري .. وراح يهتف للزعامة .. ثانياً !



وتسكع الزملاءُ ، أخرى الليل ، بين النور والظلماء
قالوا لأحمد ، وهو ينكر :

«هل لنا في ليلة حمراء ؟»

وزعيمنا ابن الجبارى بها .. كما كان الزعيم من الضحى
 كنا نؤم الساحة الكبرى ضحى .. لم لا تؤم المسرح ؟
 دع عنك أحمد الانطواء ، فللشباب جماله ومباهجه
 واصنع كما صنع الشباب ، فللشباب إلى الجمال معارجه
 سترى الحسان ، وتسمع الألحان .. موسيقى تفيض ، وراقصه
 إن أنت لم تنظر ، وتستمتع بها ، كانت حياتك ناقصة !



وأصيب أحمد بالذهول لما يقول رفاقه ، ولداته
 ومعنى وإياهم إلى درب يضيق ، وقد علت درجاته ..
 ورأى زحاما مثل يوم الحشر ، يملو في الطريق ويهبط
 هي أمة عشواء ، أخرى الليل ، في طرق المفاصد تخبط
 من كل أحقّ ماجن ، أو عامل مستهتر ، أو عاطل ..
 يستعرضون المومسات عثية .. من صاعد أو نازل ..
 أما الطريق فاؤها قذر .. وأما نورها فعنيل
 منصوبة فيها مواخير البغاء .. يلبها القنديل
 لكن أحمد في وجوه المومسات ، رأى ضحايا المجتمع ..
 فأن المسير ، وما استبد به نداء ضميره حتى رجع !



رجع الرفاق جميعهم مع أحمد ، طوع البان ، كما اقترح
 هبطوا عماد الدين .. ليلا . يهتفون ويصخبون من المرح
 تركوا الخيالة جانبا .. مالمشابب الواقع وللرؤى ؟
 وأنوا إلى الملهى .. أضىء النور في أبوابه .. فتلا ..
 وتأخر ابن الجبارى .. فلم يعقبهم عن نزول المعترك
 وقفوا وراحوا يهتفون من الحناجر .. للزعيم .. وللملك ..
 ولنادة الملهى ، رجاء ، فأقبلت في نصف ثوب ترقل ..

عرفهم ، فقبست لهم رجاء .. وصرحت أن يدخلوا ..
حزب الزعيم .. ولم أقامت حفلة يلهو بها نوابه ..
أرضت شيوخ الحزب ، في حب الزعيم .. فهل يرد شبابه ؟
ومضى الشباب ، وقد تناثرت المقاعد دونهم فتخيروا
وجرى الشراب عليهم .. أقلم يمحيتوا ظامئين ليسكروا ؟
وتلفت المشدوه أحمد ، والستار يزاح فوق المسرح
هبلته راقصة ، من الخود الحسان ، جريئة لا تستحي ..
لا ثوب يحمي جسمها ، إلا غلائل شفة لا تستر
أندائها ، أردانها ، أكتافها ، أطرافها .. تتأطر ..
ظلت تميل وتنتنى ، فتلوح منها روعة ومفانئ
ففضى بسائل :

« من تكون ؟ »

أجابه الأصحاب :

« تلك محاسن ! »

وتتابع اللحن القوي وتابته ، وأسرعت في رقصها
ومضى يراقب وثبها عجلا .. وتعجز عنه عن فحصها ..
حتى إذا نزل الستار ، وصفقت كل الأكف ، وصفقت ..
ظهرت محاسن بين مشور المقاعد ، كالشهاب تألقت ..
جلست إلى هذا وذاك ، وفرقت ضحكاتها ودعائها
ومشت إلى ان الجابري .. عليه تعرض حسنها وشبابها ..
غمزت له بالعين ، واتخذت برفق مقعداً بجواره ..
ومضت تمده ، لتخرجه قليلا من شديد وقاره ..
حتى إذا انبسطت أسارير الزعيم .. أراد يضرب موعدا
قالت :

« متى ألقاك ؟ »

قال :

« كما تشاء محاسن ! »

قالت :

« غدا ... »

وهنا تذكر أحمد قولَ الشهيد .. غداة أدرج في الكفن ..
ما كان أحسن قول له حقاً ..

« أخطب في الشباب بلائمن ١٩ »



وبدت خيوط الفجر زاهية .. وأدبرت الكواكب غائره ..
ومعنى الشباب إلى الطريق ، وقد تنمها .. نسائم عطره !

عبد الشهاب

جلست هدى الحسنة، في صدر المدرج، في الصباح مبكرة
أوراقها مشورة، كالفلسوفة.. في الأمور مفكرة..
حيناً تفنن في الحقية.. خلصة.. تنو إلى مرآتها
وتعود للأوراق أحياناً، تجيل العين في صفحاتها
شغلت بتحصيل العلوم، وبالنبوغ تعلقت آمالها
نعم الفتاة جاهلاً في العلم، مهما يمتلك جاهلاً
في صدرها بهم يورقها، ووقد النار في تفكيرها
ولها ذكاء، وانشغال بالأمور، صغيرها وكبيرها
كم تابعت قول المحاضر، تستشف، وتستين، وتساءل
إن ناظرت غلبت، وإن كتبت فصول مقالة ترسل
أنظر، فما هي ذى أنت بكتابها، منذ الصباح الباكر
جلست بمفردها.. فيا للعبقريه، والجمال الوافر!



وبدا على أقصى العمر، وقد رأها في المدرج، أحمد
دلف الزميل إلى المدرج، وهو يخطو حاذراً، يتردد..
هي فرصة سنحت ليلتقيا معاً.. لكنه يتيب..
فلكم أحسن إزاء ما ذاك الشعور.. قلبه يتقلب..
قامت إليه هدى، فصالحها.. فأبقت كفه في كفها..
هي لحظة كالعمر. إن حسبت مضت كدقيقة أو نصفها
لكن.. إذا وزنت بميزان العواطف، والشعور المضطرم

كانت حياة ، فذة السنوات .. زاهرة بموهور النعم !

وتجاورا يوماً ، وقد جلسا سوياً في رحاب المكتبة
رضيت عيونهما عن اللقا ، ولكن القلوب معذبه ..
ومراجع التاريخ قد نشرت أمامهما . وكتب الفلسفه
وصحيفة الأخبار بينهما ، وقد نشرت حوادث مؤسفه
قالت هدى :

« قل لي بربك يا زميلي .. ما الذي يبغي الرجل ؟
أيظن زوجته متاع البيت ، في حلقه لديه ومرتحل ؟
أبيعهما أو يشتريها ، كيفما شامت رغائب نفسه ؟
أم أنها الجنس اللطيف ؟ ألا يرق جنسها عن جنسه ؟
فأجاب أحمد ضاحكاً :

« لكن بربك خبرني ، ما السبب ..
في كل هذى الثورة الكبرى ، وما سر الخصومة والغضب ؟
من بعد إنجاب ، وعيش وارف .. زوج يطلق زوجته !
أمرٌ يسير ! »

« استشاطت ، والجدال هناك يبلغ أوجحه :
« إن الزواج مقدس .. وهو الوجود الأدبي بنفسه ..
أرأيت آدم عندما خرجت به حواء من فردوسه ..
هل طلقت حواء ؟ »

قال زميلها :

« لله حرك يا هدى
هذا هو الفكر البعيد ، أتيت بالفكر البعيد مسددا ..
ولكم صهدنا عندك الرأي الموفق ، والقضايا الواثقة
ودفاعك الجبار عن حواء .. لكن .. خبرني صادقة

ارابت ادم ، عندما خرجت به حواء من فردوسه
لو كان طلقها .. أكان بمستطیع أن يعيش بنفسه ..
من غير مازَوج ؟ فقد كانت فريدة جنسها في العالم !
فالیوم لا یرضی ابن آدم أن یقیده تصرف آدم !
فظروفه واقعه غیر ظروفه ! »

قالت هدى مستضحكة :

« من ذا یجاری أحمداً فی رأیه ؟ هاقـد کسبت المعركة ! »

* * *

وتحدثنا عن مصر ، عن بَذل الشباب ، وموقف الزعماء
وعن المعاهدة الجديدة .. واختلاف الناس فی الآراء ..
قالت هدى لزمیلها :

« مارأى أحمد فی معاهدة الشرف ؟
هتف الكثير لها .. ولكن لا أراك الیوم فین قد هتف .
قل لی بربك صادقاً ، ماذا ترى ؟ »

فأجاب أحمد قائلاً :

« إنی أرى شراً یدبر فی الخفاء لنا .. وخطباً هائلاً ..
کننا نحارب الاحتلال .. یلى .. لقد کنا به لا نعترف ..
فقدت له شرعية فی مصر .. تضمنها معاهدة الشرف !
ولسوف تأقی بعثة التدريب .. یالك بعثة من لندره !
لیكون هذا الجيش آلات بأیدی الإنجليز مسخرة ..
لا أحسب الشبان فی الجيش الجدید سیخضعون لأمرهم
ما البعثة العرجاء إلا الذل فیهم ، والخضوع لنیرم
ما حلفنا الأبدی إلا نكسة لجهادنا ونضالنا
لا تذکری أبطالنا .. لا تسألینی الیوم عن أبطالنا
لا یا هدى .. لا تخدعی .. أبطالنا بالحق هم شهداؤنا

لم أنس قولاً قيل لي... «الإنجليز هم أعداؤنا» ..
قول الشهيد على سرير الموت !

قالت في أمسي:
«يا للأسف!»

وأجابها :

«لو كان حياً صابراً... لم يرض عن هذا الشرف!»
قالت :

«وماذا تنتورون ؟ أتصبرون على المصابِ الأفدح ؟»
فاجاب أحمد :

«بل سمنضى في الجهاد على الطريق الأوضح !»
قالت له :

«كيف السبيل إذا .. وهذا الشعب غير مسلح ؟
إن شئت أحمد أن تكون مجاهداً حقاً ، وتخدم أمك
فانظر لتصميم الشعوب وما أثار... ولل سلاح وما فتك
أنظر إلى غندي وديفالير .. وانظر للشعوب التائرة
أنظر إلى العربي في القدس الشقيقة .. والدماء الماترة
لم لا يكون جهادنا في مصر مثل جهاد أندادِ لنا ؟
لم لا تكون بمصر جان دارك الجديدة ؟»
قال :

«من ؟»

قالت :

«أنا...»

ضحك الزميل لقولها ، لكنها عبت وقالت في غضب :
«لا يا زميلي .. الفتاة رسالة غير الثقافة والأدب

أنا أو زميلاتي ، علينا واجب لبلادنا ، لا ينكر
قد أقدم الفتيان يوم الهول .. هل أبصرتنا متأخر ؟
وأجاب :
« كلا ،

فانبرت :

« لم لا نكون مع الصفوف الضاربة ؟
إن الفتى لمحارب يحمى الحى ، وكذا الفتاة محاربة ..
أنظر لألمانيا الجديدة .. قادما بعد الهزيمة هتلر
تجد الفتاة مع الجنود ، سلاحها ، ورداؤها ، والمتر
ومبيتها فى مجفريد ، مع الظلام . على شفير الخندق^(١)
إنى أحب الحرب ! »

قال زميلها :

« ولغيرها لم تظنى ! »



ومضى الحديث ، وطال بينهما ملياً .. والحديث شجون
وتكلما فيما يعنى .. ثقافة ، وسياسة ، وفنون ..
لم يشعرا أن الرفاق تسالوا ، وخلت رحاب المكتبة ..
لم يشعرا أن المساء دنا ، فأنفاس الحديث محببه ..
قالت هدى :

« أرى لقد غادرت أرى وحدها فى المنزل

لا بد أن أمضى إليها الآن ! »

(١) لم تكن الحرب العالمية الثانية قد قامت فى ذلك الوقت الذى يقدر بأواخر عام
١٩٣٦ ، وأوائل عام ١٩٣٧ . للإشارة إلى خط مجفريد إنما هى إشارة إلى تدريب
الجيش الألمان ولإعدادهم للحرب المقبلة .

قال زميلها :

« لا تشغلي ! »

قالت :

« لقد هبط المساء .. وبردهُ غطى على الأكوام
ولسوف أمشي في الظلام وحيدة .. بحديقة الأورمان ،
قال الزميل الشهم :

« لا تخشى هدى .. فلك أوفى صاحب
ولسوف أبلغك الأمان إذا سمحت فذاك بعض الواجب



ومضى يحدثها ملياً ، وهي تسمعه .. وتسبحُ شارد
والروض تكشفه مصابيح الطريق .. ضئيلة .. متباعدة ..
وأحسنُ أحمد أن سحراً بات يجذبه إليها .. فأنجذب
ورأى هدى في الليل ، وهي قرية .. فدنا إليها وأقرب
مال الزميل .. فلم تمنع ، أو تقاومه .. فقبل خدّها ..
هي قبلة بين الزميلة والزميل .. فكيف تملك ردّها ؟ !

(٧)

القيّم المنصارة

الشيخ نور الدين ، شيخ الجعفرية .. جاء مصر يزورها
بهرته روحها ، وزحماتها ضحى .. ومن العشية نورها ..
أحياؤها الوطنية الفراء ، لاح لعينه مستورها ..
من حى باب البحر .. يهره الغداة صغيرها وكبيرها
يمضى إلى حى الحسين .. وفى الحسين مقامه والأزهر
هو ذاك نور الدين يدخل مسجد السبط الشهيد يكبر
يدعو لأحمد بالفلاح .. وقد أتم علومه فى الجامعة
ولتصبح الأيام آذاناً لشهرته البعيدة واسمه
وأبوه ، حين يقوم فى باب الحسين .. محركا حلقاته
ستجاب دعوته ، ويُفتح لابنه الموعود ، باب حياته !

* * *

يوم التخرج .. بات أحمد فيه ، مذ واقاه ، يحمد ربه
وأبى عليه شعوره الفياض إلا أن يكرّم صحبه
فدعاهم قبل المساء .. إلى دجروني ، واستقام المجلس
وأنى الرفاق .. فجاء محمود ، وأعقب ذو الفقار ، ومؤنس
وتصدّرت بشرى المكان .. ومثلها حضرت سناء ، وزجس
والنادل النوي ، فى الثوب المنشى ، والخزام الأحمر ..
يمضى ويرجع بالفطائر ، أو صحاف الزبد ، أو بالسكر ..
ومضى الحديث ، فقال مؤنس :

« ما اتويت ؟ »

قال :

« لن أتوظف »

سأعيش حراً ، للصحافة والكتابة ناشراً ، ومؤلفاً ..

فبلادنا في حاجة لجهادنا .. وجهادنا أعلامنا ..

وسنتعنى أعلامنا ، حتى يجرّد للقتال حساننا ! »

وتقدمت بشرى لأحمد بالحديث ، فقال أحمد :

« ما الخبر ؟ »

قالت له سحيلي :

« هدى .. مشغلت عن الحفل البيتي .. وتعتذرا .. »

قال الرفاق :

« وما الذي شغلت به ؟ »

قالت لهم :

« ضيفٌ حضرا ! »

قالوا لها :

« في بيتها رجلٌ ١٩ »

فقالت وهي تضحك :

« لا عجب ؟ »

فلعل ضيف هدى قريبٌ جاء يسأل .. أو عريسٌ قد خطبها ،

وتهامس الفتيات ، قالت عند ذلك سناء :

« قد خطبت هدى ! »

ففسادت بشرى وزجس

« هل لديك بذاك علمٌ يُرتجى ؟ »

قالت :

« أجل ، خطبت هدى لموفق الدين الشريف على كبر
شيخ من الوجهاء ، في الحسين .. إلا أنه يحكى القمر ..
وله الضياع العامرات ، كما سمعنا ، بالآلوف تقدّر ..
ويقال إن الباشوية في الطريق إليه لا تتأخر ،
واستفهمتها نرجس ، قالت :

« أشيخٌ بالعمامة يظهر ؟ »

قالت :

« وما ضررُ العمامة ، وهو ذو الأرض الغنية والعزب ؟
وله الكرتة والحصان .. كما يشاء .. إذا مشى . وإذا ركب ،
ضحكت سناء ، وقهقهت بشرى ونرجس من قلوب صافيه
غابت هدى ، فليسأل العصب الكرام لها الهدى والعافية !

* * *

واستأذن الفتيات .. كلٌ زميلة راحته تحبى شاكره ..
وتحدثت الفتیان وحدهم طويلا في الأمور الحاضرة ..
قال الملازم ذو الفقار .. وكان في « كلية الجيش » انتظم ..
نعم الملازم ذو الفقار .. فإنه في كل خطبة يتم
ترك « الحقوق » لغيره . ومعنى لئلا الحقوق وينتقم^(١)
لحقوق مصر على المدى في أن تسود وتستقل وتنتصر
في عصبة .. كتبوا وإياه صحيفة الانطلاق المنتظر ..

(١) الإشارة نل أن عصبة من الرفاق تركوا كلمة « الحقوق » في ذلك الحين ،
والتيقوا بالجيش ليهملوا على تحرير مصر من داخله . والمروف أن الرئيس جمال
عبد الناصر مل ذلك أيضا .

إذ قال :

« هذى فرصة الأجيال ، ترفع قدرنا بين البشر ! »

قالوا :

« وما هى فرصة الأجيال ؟ »

قال :

« علو مصر سيندحر ! »

هذى 'جيوش' المتلوية قد محت باريز فى لمح البصر... (١)
وغدت تراوح أو تغادى فوق لندن .. بالقنابل كالمطر
فى كل يوم ألف طائرة ، أغارت فوق لندن وحدها
ورهيبة الأحداث فى دنكرك ، إذ وثبت لتفرق جندها
أنا لا أرى للانجليز سوى الهزيمة فى القتال الناشب
ولذلك أدعوكم إلى تحرير مصر من الدخيل الغاصب !!
قالوا :

« وكيف لنا ، وأجناد الخليفة كالفدائف تنطلق ؟
هم بالسلاح مدحجون .. وهم سكارى فى الشوارع والطرق
والحكم عرفى* ! »

فتمتم ذو العقار :

« بل اصبروا وترقبوا
كل الآه ومعدة .. والجيش فى ثكناته متأهب ! »
قالوا له :

« لو زدتنا ! »

فأجابهم :

« فى مصر جيش يعمل !
واشارة التحرير يطلقها الجنود متى تقدم «رومل» ! .. »

(١) دخلت جيوش هتلر باريس فى ربيع عام ١٩٤٠ ، ثم أغارت على لندن غارات متواصلة كانت تشترك فى كل واحدة منها ألف طائرة .

قالوا :

« أحمّل بمحتل ؟ »

فقال ووجهه يتهلل :

« أو ما سمعتم أن طياراً إلى مطروح بالأمس انطلق^(١)
هذا سعودي الجري ، مضى بجاهد .. والمجاهد من صدق .. »

قالوا :

« مجازفة ! »

فقال :

« غدا سنسمع صوته يتكلم ! »

قالوا له :

« من أين ؟ »

قال :

« ههناك من « برلين » .. يدفع هنك ! »

وتنبه الأصحاب ، حين مضى من الليل المزيع الأول
في ليلة عصف الشتاء بها^(٢) .. وجاءهم زميل معجل
قال الزميل :

« أما علمتم بالمصيبة ؟ إنه الحدث الجلل
جيش الخليفة قد أحاط بباعدين .. وجمعه فيها اكتمل ..
وتقدمت للقصر دباباته .. فالباب منه محطم
قطع السفير ، وقادة الجيش المنقهر ساحة فتقدموا ..
دخلوا وقد طلبوا إلى الملك التنازل صاغراً عن عرشه ..
وإذا أبي أن يستجيب لم تعرض للسلح ويطشه .. »

(١) الإشارة إلى المحاولة الباسلة الأولى التي قام بها الطيار العميد سعودي ، للاتصال
بخطوط الألمان في العلين - والتي ذهب جطائره فضلاً لأنه لم يمد يده بذلك .

(٢) الإشارة إلى إحاطة الدبابات بباعدين ليلة ٢ فبراير عام ١٩٤٢ .

فرضوا عليه وزارة ستجيب كل مطالب المستعمر
أرأيتم ذلًا كهذا الذل ، في هذا الزمان الأغبر ؟
وجم الرفاق لما يقول .. وصاح فيهم ذو الفقار :
« سنتقم ! »

اليوم يضرب جيشنا الجبار ضربه .. وفاء بالقسم
اليوم يحمي الجيش حوزته ، ويحمي الدار ، بل يحمي الحرم
هي فرصة الأجيال ، يا أصحاب ، ترفع قدرنا بين الأمم ،

لكن أحمد وحده ، بعد اتصاف الليل ، عاد لداره
متفكرًا في حاله ، مسترسلًا ماشًا في أفكاره
لم لم نجى عند المساء هدى لذاك الحفل مثل رفاقه !
هل كان ينني في الهواء قصور أحلام ، وفوق طباقه ؟
قد كان يرجو أن يفاجئها بما ينويه بعد نجاحه
قد كان يرجو أن يحدثها طويلا عن جديد كفاحه
ماذا يقول .. وهذه هي سنة الدهر التي لا ترحم ؟
مهما تعلمنا .. فسوف نظل طول حياتنا .. تعلم !

ومشي وحيدًا في الظلام .. وللكواكب ممها وسرارها
حتى إذا أوفى على الدار البعيدة راعه أنوارها ..
ورأى بها صنها .. فنم ضيفها ، ليلا ، ومن سمارها ؟
هذا أبوه الشيخ نور الدين .. في شرف الأريكة جالساً^(١)
هذا أبوه وأمه .. قد أولياه مسامرا ومواسا ..

(١) شرف الأريكة : يعني صدرها .

لكنه جابها حقاً على عجل وقطب عابسا ..
هل جاء هذا الشيخ إلا كي يدل على فتاه بعلمه ؟
ماذا يريد به ؟ سيعرف ذلك من تقريره أو شتمه !
لكن نور الدين قال له :

« نجحت وفزت فوزاً بيننا

لم لا تتم بالزواج ؟ وما الزواج ؟ أراه أمراً هيناً
هذه سعادة بنت عمك .. لا تزال هناك ترقب في المدة ..
وإذا تقدمنا إليها بالشهادة .. لم يعارضها أحد ،
وأثير أحمد ، ضاق ذرعاً بالحديث .. فقال :

« كلا يا أباي ..

أنا لا أفكر في الزواج الآن قبل وظيفة ، أو منصب
سأتم تعليمي ، وأخذ .. دم بالصحافة أمتي ، وأحرر
تحرير مصر هو المني .. فالأمر من هذا وذلك أخطر
حتى إذا مصر استقلت .. عند ذلك في الزواج أفكر ،
قالت له الأم الروم :

« عن الزواج اليوم أحمد نصبح ؟

لم يامن عيني ؟ »

وقال أبوه :

أنت متقف متعلم !

لم يا بني ؟ وحظنا في أن نراك أبا .. ،

لخفق فيهما :

قال الفتى لهما :

« ألم يبلغكما ما حل ظلمنا بالحق ؟ »

الجيش جيش الانجليز .. يؤلف الآن الحكومة في البلد ..
وزرأؤنا مثل الدمى في كفه .. فالأمر أجمع قد فسد ،

وهناك صاحبت أمه ، لما رأت منه التعصب واللدن
قالت له :

« هل أنت وحدك مخرج للانجليز من البلد ؟
القطر فيه الباشوات كثيرة .. وبه المشايخ والعمد ،
فأجاب :

« لا تعجل .. لا أنثى يا أم عما اعتقد ،
وارتاح نور الدين ما بين الأريكة والوسائد .. واستند
ومضى يحدثه حديث مغاضب ما عاد يهجه أحد ..
قال :

« استمع لي يا غبي .. وسوف تفهمني غداً ، أو بعد غد ..
لن تستقل بلادكم .. فالانجليز اليوم أسياذ الأمم ..
ما هذه الحرب التي أنصرتها إلا الخديعة .. يا غشم ..
لا شيء يدعي هتلر .. لا شيء يدعي رومل .. لا شيء ثم ..
لكن جيش الانجليز يروح أو يندو بمصر ، ويحتكم
فن السويس لشط مطروح ، ومن مصر الجديدة للهرم .
لم يبق إلا أن يؤكد حكمه فيكم .. وأطلع من سلم ،



ومشى لحجراته قبيل الفجر أحمد .. وهو مشبوب الألم
ما هذه الدنيا الكريمة ، والبلايا .. كالخضم المتلطم
هذي الحياة وما حوت أضحت تلوح ككريمة من حوله
هذا أبوه مسفها آراءه ، مستغرقا في جهله
هذي البلاد تحب في الأحداث كالعشواء تضرب في الحلل
هذا السفير الأجني وجنده .. فرضوا الزعيم على الملك

(١) اللدن : الحصومة الشديدة .

« الانجليز هم هم أعداؤنا ، .. إن الفؤاد لذاكر
 هذا الذى قد قاله فى ذلك العهد المبكر .. صابر ١
 ومضى لحجرة نومه ، والذهن مشغل الجوانب يحترق
 ممدان ، يغلبه النعاس ، ويستبد به فيصرفه الأرق ..
 ماذا تبقى فى الحياة .. وقد نهاوت عنده كل القيم ؟
 لكن يبقى نفسه .. ويقول
 « يا عجبا متى يموت الصنم ١ »

(٨)

حَدِيثُ الْفَقِي الْمَرْمُوقِ

نار على جبل الشريف .. توقدت ليلاً .. بظاهر منقباد ..
هل تلك نار النّفء في ليل الشتا .. أم أنها نارُ الجهاد ؟
جمعت حوالها شباباً .. يفتنون بلامد بدمائهم ..
كم ضاق ذرعهم بجيش الانجليز .. وكم سعوا لجلائهم ..
يحمون فرصتهم وراء الليل ، في ذاك المكان المنعزل
يتحدثون ، ويسمرون .. بما يُميد له من الذعر .. الجبل !



قال الفقي المرموق :

« إن الانجليز همُ همُ أعداؤنا ..
أصل البلية هم ، فكيف خلاصنا منهم ، وكيف نجاؤنا ؟
بالأس قد وثبوا علينا ، واضعينَ السيفَ في أجدادنا
ومضى عليهم نصفُ قرنٍ ، بل يزيد .. وجيشهم يبلداناً^(١)
صادوا الحمام بدنشواي ، فازهقوا برصاصهم أرواحنا ..
يا ويلهم يوم الحمام .. فإنهم صَادُوا هناك كفاحنا !
فرضوا حمايتهم علينا ، عند بدء الحرب ، وانفردوا بنا
ساقوا إلى الميدان زهرة جيلنا ، سلبوا حياة أشــــــــــــــــــــــــابنا
حتى إذا انتصروا ، وقد وضعت هناك الحرب من أوزارها

(١) المفروض أن هذا الحديث جرى في منقباد شتاء عام ١٩٣٨ ، فيكون قد مضى على الاحتلال يومئذ خرابه ستة وخمسين عاماً .

غدروا بنا .. وتسكروا لعهودهم .. واللؤم في إنكارها ..
لكننا ثرما عليهم ثورة الأبطال ، والشعب اتحمس ..
فشنوا إلينا بالخداع .. وما خداعهم سوى « فرق تسد »
عمدوا إلى الصف الوثيق ، ففرقوه بلؤمهم أيدي سبأ
لم يدخلوا ما بينه ، حتى تفرق جمه — ، وتحزبا
البرلمان خديعة كبرى .. عليها للميون ستائر ..
والانتخاب بلية عظمى .. تباع لها الغداة ضمائر ..
والشعب يهتف للزعيم إذا غدا أو راح في طرقاته
وجنود دولة الاحتلال .. بدوا بقصر النيل .. في شرفاته
أما الوزارة ، والوزير .. فإن أمرهما بمصر هو العجب ..
السترة السوداء ، والنفاز ، والسيف الموشى ، والقصب
المظهر البراق فيه كل ما يعنى الوزير إذا وزر ..
لكن أمام الانجليز .. فإنه يخطو ويتنطق في حذر ..
والسيد السند الذى فى القصر يرطن بالكلام الشركسى
ويعب من كأس المذلة ، والهوأن .. مع الخنور .. ويحتسى
هذا الدحيل على البلاد ، وعرشها ، وكيانها ، وشعورها
بحميه سيف الانجليز .. فكيف يفصل فى مهم أمورنا ١٩ ،
قال الرافى له :

« لقد أحسنت فى شرح البلية كلها —
وعقدت عقدة شعبنا محبوكه .. فانظر لنا فى حلها »
قال الفتى المرموق :

« كلا يارفاق .. فليس ذاك هو الخطر
هنا يسير .. غير أن هناك ما يدعو لإيمان النظر »
قالوا له :

« هناك أخطر فى البليّة من كلام قلته ؟

أعداؤنا أظهرت خافهم .. وتاريخ الحمى فصلته .. ،
قال الفقى المرموق :

« يبقى الشعب ! يبقى نحن ! أبناء البلد !
جبل نعد له لينشأ صالحاً ، إن كان جبل قد فسد
إلى أرى الأعداء أوهى من خيوط العنكبوت وأهونا
لكن أسائل بعد نفسى إن يكن بعث « الإرادة » ممكنة ؟
شعب بغير إرادة ! ماذا يكون ؟ وكيف يصمد للعدا ؟
هم جردوه من الإرادة .. خطة مرسومة وتعمدا ..
لما سرى سم الدخيل بحسم أمتنا سرى فيها الوهن
الجيش قد بدءوا به .. ليحطموا فيه مقاومة الوطن
بل يسروا منه الفرار .. وزينوا لضعافتنا دفع البذل^(١)
وإذا بحثتم عن نظام مثل هذا ما وجدتم فى الدول
أما المنجند ، فهو فى بيت الفريق أو اللواء الخادم
يقضى شئون البيت ، أو يطهو الطعام ، وللصغير يلزم ..
وإذا مشى الجندى فى الطابور يسترخى .. فكيف يقاوم ؟
بل إن قائد جيشنا « السردار » .. وهو الأجنبى الذائمه !
لم يبق للأوطان جيش مه شرف الدفاع عن الحمى
عظمت بلية جيشنا .. فإذا رأينا الشعب .. كانت أعظما !
شعب بلا هدف .. تباين حظه ، وتباعدت طبقاته .
فى الريف الإقطاع قد استشرى ، وفلاح تهون حياته
من ذلك الفلاح ؟ ذاك أبى ، أبوك ، نعم أبوك ، نعم أبى !
من صاحب الإقطاع ؟ ذاك صنيعة للقصر ، أو الأجنبى !
والخوف كل الخوف من أن ينهض الفلاح أو يتكلم

(١) ابتكر حكم الاحتلال هذا النظام ، وهو دفع البذل المسمى . للاعفاء من
الجندي . ليصرف الشعب عن القيام بواجبه المقدس

وضعوا له « المورفين » .. سما في الطعام ، لكي ينام ويحلبنا
هذا هو الوضع الكبير .. لحكمنا ، ولشعبنا ، ولجيشنا ..
لا بد من تغيير هذا الوضع .. إن رمنا كرامة عيشنا ،
قالوا له :

« هذا هو الوضع الذي فيه إلحى يتعثر
لكن ، بربك ، كيف نصنع كي نغيره ؟ وهل يتغير ؟ »
قال الفتي المرموق :

« لم لا ؟ ذاك أهون ما يكون وأيسر ،
قالوا :

« وكيف ؟ »

فقال :

« تلك هي اللغات بلغظها تتكلم ..
إن أنت خاطبت أمروا يوما بغير لسانه .. هل يفهم ؟ »
قال الرفاق له :

« وأنى يفهم الإنسان غير لسانه ؟ »
قال الفتي المرموق :

« هذا ما سأشرح .. فاسمعوا ليانه ..
لغة العدو مع العدو .. هي السلاح .. ولا تقام غيرها
ما زالت الأوطان في قيد المهانة حين تقسح صدرها
وتقابل العدوان بالصفع الجليل .. وحين تعلن صرخها
هذا « عرابي » .. قال عنه القاتلون ، واكثروا حين انهزم ..
هذا هو البطل الذي لقي العدو بسيفه .. لا بالقلم
حتى إذا احتل البلاد الأجنبى . مضى يمزق جيشها
ويحطم المسلول من أسيافها .. حتى ينكد عيشها ..

أرأيتم في غير مصر هل التقى حمل السلاح محرماً
هذا الذى تلقاه أمتاً .. وأن لجاهل أن يعلبا .. ،
قالوا له :

« وضع لنا دور الشباب ! »

أجابهم .

« سأوضح ..

إن شئتم أن تهزموا أعداءكم .. لابد أن تتسلحوا .. ،
وجموا وقالوا :

« كيف ذلك ؟ من سيعطينا السلاح ويمنحُ

وهناك محتل ، وإقطاع ، وعرش مفسد لا يُصلح ! ؟ ،
قال الفتى المرموق :

« هذى خطة التحرير أرسبها لكم

ضموا صفوفكم عليها صادقين ، ونظموا أعمالكم
وسنقسم القسم الشريف الآن .. فاقربوا إلى .. تقدموا
هذا كتاب الله شاهدكم .. ضعوا أيمانكم .. وسنقسم ! »



وتجمع الزملاء حول النار .. والإيمان فوق المصحف
والدهر يضي من وراء الليل ، للقسم الأعز الأشرف
نطق الفتى المرموق .. بالقسم الشريف .. ورددت أصحابه
لو كان يسمعه الدخيل المستبد .. إذا لطار صوابه !

القسم

أقسم بالله الأجل الأكبر
وبالنبي الصادق المبشر
وبالكتاب الأكرم المطهر

أن أبذل الروح بلا تأخير
 لخير ، ذات الجهد والتحرر
 للنيل . يجرى سائفا كالصكور
 للحقل ، يزكو بالنبات الأخضر
 للشعب ، في جهاده المؤزر
 لصد كل أجنبي مجترى
 وطرد جيش الاحتلال الأقد
 و سحق كل قائد وعسكري
 وأن أضمر كل حر أقدر
 وكل إيث كسر غضنفر
 لصفنا ، وجيشنا المظفر
 بعد دقيق البحث والتخير
 وأحمل السلاح حمل القصور
 في ثورة أمنا لم يُشهر
 خالدة على عمر الأعصر
 تظهر الأرض من المستعمر !

وتفرق الزملاء ، كالنبياء ، يتجهون صوب خيامهم
 تتعجب الدنيا لما يطويه سرٌ حديثهم ، وكلامهم ..
 ذهبوا إلى أقصى الخيام ، وخفوا النار التي لا تخمد
 النار بين جوانح الأبطال .. دائية اللظى .. توقد !

ومضى الفتي المرموق .. من هو باثرى ذاك الفتي المرموق ؟
 أنظر إليه وقد مضى .. فانشق في قلب الغيوب طريق
 وبداله ظل .. على جبل الشريف .. كإرد قهر العدا
 يمضى ، فيمضى ظله من حوله .. متطاولا .. متزايدا ..
 لو كان يبصره هناك الانجليز .. وظله يتزايد ..
 لاستيقنوا أن الأسم الصلد .. أمسى تحتم .. يتزايد !

(٩)

لغة السلاحي

سلوى .. شقيقة ذى الفقار .. تفوق فى تعليمها حد الكفاءة
وتناهى العشرين من سن الورود .. مع السذاجة والبراه
لكنها وطنية . تجرى الحاسة فى صميم عروقها ..
وتحب مصر .. نحبها حباً يرد لها جميع حقوقها !
كانت بمدرسة البنات الأولية ، والفصول الراقية
للمطالبات زعيمة .. تدعو وتهف ، وهى بنت ثمانية ..
قادت مظاهرة إلى بولاق .. فى ذلك الزمان الباكر
وتقدمت فتية ومديحة ، ومنى .. شقيقة صابر !
لكنها لم تمض فى تعليمها ، أو تلحق بالجامعة ..
وتابعت سنواتها كالورد .. وهى بركن بيت قابعه ..
تقضى حوائج ذى الفقار .. وربما جلست تفكر شاردة
وترى زميلات الصبي حيناً .. وحيناً لا تقابل واحده !



وأنى أوان الحرب ، واضطرب الآتون ، وطار فى الجو الهم
وتلاطمت جند الخليفة ، فى الشوارع ، كالخضم المصطخب
وتمايل ، المخطور ، .. منهم بالسكارى ، فى النهار الأوضح
وتتمروا فى عابدين ، أو الخليفة ، أو بجى المذبح ..
فى كل يوم قصة تروى .. وحادثة يفور لها الدم ..
المريرة أعلنوها فى الطريق .. فن مشى لا يسلم ..

لكن هذا الشعب - رغم الصبر - لا ترضى الهوان كرامته
متواضع في عزة .. مرفوعة فوق الكواكب هامته ١



جاءت منى منذ الصباح تزور سلوى ، فهي أرفق صاحبه
وتمكن الإخلاص بين منى وسلوى ، فالزيارة واجبه
واستقبلتها الأخت في الصالون ، وانسجم الحديث الشائق
وأنت لها بعصير ليون ، له في الكوب لون رائق
وتحدثت معها .. وكان «الصوف» موضوع الحديث الأكبر
قالت منى :

« هل تنزلين معي إلى السوق الغداة لشترى ؟ »

قالت لها :

« والانجليز ، وقبحهم ؟ »

قالت منى :

« من يجترى ؟ »

قالت :

« سألبس حلي »

قالت لها :

« باقه لا تتأخرى ! »



ومضت قرابة ساعة وهما تطوفان الشوارع بالعضى
واختارنا الصوف الرفيع خبوطه ، تطلبان الأصلح
وتهادتا في «شيكوريل» وفي «جنيو» .. تشهدان المعرضا

لم تخشياً ذنباً يحدث نفسه في الطرق أن يتعرضا ..
وهناك لاح « الأمريكين » .. عموج بالإغراء ، والوجه الحسن
قالت منى :

« هيا بنا يا أخت ، نطلب صحن أرز باللبن ا ،

جلست هناك منى وسلوى .. في سكون .. والوقار عليهما ..
وإذا بمجتدين من جند الخليفة .. ينظران إليهما ..
وبدت منى الحسناء ذاك اليوم أبهى ما تكون وأنفرا
قفرسا في وجهها ، في شعرها ، في صدرها .. وتفكرا ..
وأحست البنتان عدواناً ، فقررنا المسير على عجل
وتحرك الذئبان خلفهما .. يؤمان الطريق ، بلا خجل
ثم اختفى الذئبان بعض الحين ، لا يخفيهما داعي الشرف
لكننا هي خطة الخلفاء .. كيف منى تنال وتختطف ؟
وتقدمت تجرى منى الحسناء .. خوفاً .. واستبد بها القلق
فتمرضت سيارة كالذئب تعوى .. عند مفترق الطرق
وامتدت الأيدي الأثيمة ، في صياح الهول ، واختطف منى ..
وعلا هتاف النصر - يعرفه تشرشل ا - للجريمة معلنا ..
وتحدثت صحف الصباح بأن بنتاً ذات حسن رائع ..
عنروا بها مقتولة .. بين المقابر .. في الإمام .. الشافعي ا

نظرت إلى الأنبياء سلوى ، والرسوم .. ودعها منساقط
والنار في القلب المبرج ، وصدرها بالحزن عال هابط
ورأت أخاها ذا الفقار ، فألقت الأخبار فوق المنضدة
ومضت تصيح به ، وتصرخ فيه ، مزربة به ، متوهده

قالت له :

« لمتى انتظارك ؟ أليس لعنر عهد عندكم ؟ ،
جند الخليفة ينصبون نساء مصر . . وما رأينا جندكم !
هذى منى أخت الشهيد . . بل الشهيدة . . أى عرض يهوى ؟
إن أنتم يا قوم لم تحموا حريمكم . . فلن تتحرروا . . »
قال الفتى :

« يا أخت صبرا . . نحن نعمل كل ما فى وسعنا . . ،
ولنا سياسات ، ونخطيط . . ونعرف ضررنا من نفعا ! ،
قالت شقيقته لنسخر منه :

« بل ذاك الكلام الفارغ . .
ولى زمان الهزل ، هذى الحرب ، هذا جرح مصر البالغ . .
أين الرجال ؟ وأين ما أعددتهم من السلاح الفاتك ؟ ،
قال الفتى :

« أما الرجال فقادرون . . وقد عرفت بذاتك . .
أما السلاح فلا سلاح ! ،

لحدقت فيه وقالت فى غضب :
« أرى ليس عندكم الذخيرة فى مخازنها ؟ فلم لا تنتهب ؟ ،
فأجاب هونا ذو الفقار . . وقد تبسم :

« فكرة تزن الذهب !
ميسورة التنفيذ . . لا تمجليها . . قد يحققها الزمن ! ،
قالت وقد غلت الدماء برأسها ، والوجه بالغضب احتقن . .
ولبيب إيمان يشع بمقتلتها :

« لن نضع دماؤنا ،
سأجهز الآن السلاح . . ومن يدى سيذوقه أعداؤنا . . »



وثبت ، وقد ملك الذهول شقيقتها ، للأمر لم تأخر
جماعت بكل زجاجة في البيت ، تملؤها برمل أصفر
وتروح بالبارود تخلطه ، وكل مدمر متفجر
قال له :

« انظر .. فهذه الحر .. وهي تفوق أعظم مسكر
قسما بروح مني .. لن شرب الأعادي جرعة لنزحوا
الآن نشرب من دماء الإنجليز ، ونسرق ، ونذبح ،
ومضت لناقذة ، فلاح لعينها « الحنطور » . مال بركه
قالت :

« خذوا المعصور من خمر الدماء .. وستنعمون بشربه » ،
وتتابعت تهوى القذائف من يديها .. كالقنابل تنطلق
وتمزق الركب البيض .. وسال منه دم تفيض به الطرق ..
وتوالك الأيام ، واشتهر السلاح .. فكل « كف » تضرب ..
« كوكيتل مولوتوف » .. جند الإنجليز بثله لم يشربوا^(١) ..



وأق إلى بولاق ، من حي الزمالك ، ذات يوم أحمد
ليزور أسرة ذى الفقار ، ومثله لرفاقه يتعهد
فلقد أتاه بأن صاحبه من الجيش العتيق مشرد
وبأنه قد بات في سجن الأجانب ، وهو فيه مهدد
لكنه ، إذ مر في حي الزمالك لاح قصر أمثل ..
ورأى هناك موفق الدين الشريف .. على السلام ينزل
ورأى الكرتة والحصان بعينه .. ورأى هدى تترجل
ورأى عليها البشمت التركي .. وهي بحسنه تجمل

(١) اشتهر بالفعل في تلك الأيام سلاح شبيه بهذا عرف باسم كوكيتل مولوتوف ، ولقي
عليه كثير من جنود الإنجليز حتفهم .

سبحان ربى ! صبح ما قالوا إذا ، وتزوجت ، ومضت هدى
الله يرحمها .. فقد ذهبت بلا عود .. ويرحم أحدا ..



طرقت بد الإخلاص باب البيت ، وانتظر الصديق على الدرج
ومضى يفكر فى القتال ، وفى المصير ، وفى الزميل ، وفى الفرج
وإذا بوجه مشرق القصات .. عذب الحزن .. مكتئب الفرح ..
وأحس أحمد أن باباً للسعادة والسلام قد انفتح ..
لاحظ له سلوى .. كما لاح الملاك ، الطاهر ، الصافي ، النقي
وكأنها إنسانة علوية .. أمثالها لم تخلق ..
قادتة فى أدب إلى الصالون .. ثم مضت تعد له الشراب ..
وأنت إليه أمها ، ذات التقي والدين .. حاسرة النقاب ..
قالت له :

« يا مرحبا بك يا بنى .. »

فقال :

« أهلا مرحبا ،

قالت :

« صديقك ذو الفقار بييت فى الصحن الرهيب معذبا
ذهبا به ظلماً ، بنير جريرة .. فاقه منهم ينتقم ا ،
وأجاب أحمد :

« ذو الفقار أخى .. وعهد إختنا لا ينقسم
ولسوف أبذل كل مجهودى .. ولكن .. هل عرقم ما السبب ؟
عندى الحماى ، والطعام إليه أحله .. وإن شاء الحرب
فلنا وسائله ا ،

فقال :

« يا بنى .. أمثل ذلك يمكن ؟ »

فاجابها :

« هو ممكن ، لكن توجهه .. لثلا يفتنوا ..
وأهم منه سر تهمة .. فذاك ميسر لمهقى .. »
قالت له :

« واقع لا أدري .. فسل عن سرها سلوى ابقي ! »
وهنا أنت سلوى ، يفيض الحسن منها ، والرواء الفائق
جاءت له بمهسير ليون ، له في الكوب لون رائق
حتى إذا جلست قبالة ، وراحت عذبة تتحدث ..
لاحت له الفردوس ، وافرة النعيم .. وكان عنها يبحث .
قالت :

« لقد سحبوا جنود الجيش من مطروح .. حين تمددوا^(١)
لم يذعنوا لقرار تسليم السلاح .. فسرّحوا ، بل شردوا ..
والضابط الممتاز فيهم ذو الفقار .. رموه في سجن الأبد
أما عن التهم التي سيوجهون له .. فلا يدري أحد ! »
وأجاب أحمد :

« سوف أفعل كل ما في طاقتي لنجاته ! »
قالت له سلوى :

« أخنى بطل .. يعنى للحق بحياته ! »
واستدركت :

« مادمت تسعى كي تخلصه فأنت إذا بطل ! »
وتورد الحدان منها ، حين قالت ذلك ، من فرط الحجل !



(١) وقع حادث تمرد الضباط المصريين بمصر مطروح عام ١٩٤٢ ، لاذ رفقوا
تنفيذ الأوامر الصادرة لهم من الإنجليز بتسليم أسلحتهم ، وعادوا بها كاملة إلى القاهرة

حتى إذا مضت الفتاة . وفرصة الأيام بانت سانحه ..
قال الفقى للامّ :

« يا أمّاه .. قرأ للقران الفاتحه ا ،
وجرى بذاك البيت ، فى بولاق .. فى تلك السنين الخاليه ..
عرس صغير .. جمع القليلين فيه ، حب مصر الغاليه ..
سلوى وأحمد .. أى طير بالرفاء ، وبالسعادة قد صدح ا
حتى إذا نسياموم العيش يوماً .. بعد إتمام الفرح ..
قالت له ..

« دعنا من السينما .. سنذهب للعشاء .. ونشرب ! »
قال الفقى ..
« أو تشرين ١٩٩٠ »

وراح ينظر للفتاة ويعجب ..
قالت له ..

« كوكتيل مولوتوف ١١ »

واستأقت هناك من الضحك

فأجابها :

« لم لا ؟ ليمى الشعب منتصراً .. ويهلك من هلك ا .

(١٠)

جِيلٌ يَنْقُضِي

أخذ القطارُ يسيرُ ما بين الخطوط على الحديد وينقل ..
ويهمُّ شيئاً بعد شيءٍ .. ثم يجرى في الطريق على عجل ..
ترك الآفاريز العديدة ، والعنابر ، والمساكن .. وانطلق
بين الحقول الناضرات ، يشق أكناف الطريق ، ويخترق
يمضي إلى شبرا ، إلى قلوب ، متجهاً إلى بنها العسل
وهناك في صالونه «سلوى» .. بجانبه عزيزتها «أمل» ،
ورضيتهما المحبوب «صابر» .. وهو يبكي دائماً لا يصبرُ
وهناك «أحمد» ، «سام» . تدعوه نافذة القطار فينظرُ
لا يبصر الحقل الجليل ، ولا يرى الجاموس فيه ، ولا البقر
لا يبصر الفلاح ، نهوى كفه بالفأس ، طيبة الأثر
لكن يفكر في أبيه .. فإنه في البيت بات على خطر ..
ويحار في هذا الوباء .. كأنه الطاهون في الأرض انتشر ..
يسرى كما يسرى لبيب النار .. يفعل في الحشيم وفي الخشب ..
عمّ البلاد من «القرين»^(١) .. فكيف جاء إلى الحمى ؟ ومن السبب ؟
ما هذه البلوى ؟ ألم تضع الحروب اليوم من أوزارها ؟
منذا الذي قد جاء «بالكافرا» .. ليسقى الشعب سم عقارها ؟
الإنجائين .. فأنهم ، في مصر ، أصلٌ للصائب كلها ..
هم عقدة التفكير بحكمة .. فهل آن الأوان لحاها ؟



(١) القرين بلدة بمحافظة الدقهية كانت أول مظهر بها وباء الكوليرا عام ١٩٤٧ .

وترجل الركب الصغير ، وأشرقت «طنطا» بأشوار الضحى ..
 وخلا طريق السيد البدوي .. نام الشعب عنه فاصحا ..
 الدور مغلقة النوافذ .. والحوانيت العديدة مغلقة ..
 والصمت ، صمت الموت ، بل صمت الوباء .. يعم كل المنطقة ..
 وتقدم «الحنطور» .. غيرنا الزمان وما يغير سيرة ..
 وتراقصت رأس الجواد .. وقد تهاوى السوط يصيح ظهره ..
 وأطل أحمد لحظة ، ورأى المقام .. فراح يتلو الفاتحة ..
 ومضى يحدث نفسه :

«شتان بين غد .. وبين البارحة !»

بالأمس كان هنا يؤدي حاضراً صلواته في المسجد
 واليوم أصبح نائياً في مصر عن شرف المقام الاحدى !
 وسرى وميض الذهن ، خطف البرق ملتصقاً .. ففكر في عجب ..
 سماه «أحمد» والداه .. تيمناً بالقرب من «شيخ العرب» !
 بالأمس كان البحر .. بعر الجعفرية .. زائراً يتلاطم
 واليوم أصبح شارعاً فيه الحدائق ، والبناء الاغصم
 وزمام قريته القديمة ، بات في كنف الطريق يضمه
 وأبوه لم يصبح لها شيئاً .. فزاد مع المصائب همّه ..
 بالأمس كان يرى «سعادة» وهي كل مناه .. كل سعادته ..
 واليوم يأتي كي يراها في ظلال الريف .. صحبة زوجته ..
 ماذا يقول لها ؟ وأين المهدي لابنة عمه قبل السفر ؟
 هذا هو «الحنطور» دون الباب .. شدّ لجامه .. ثم انتظر !

وتقابل «الاحباب» من بعد الغياب .. فكلم لم من مرحب !
 وعلا صياح القوم .. واختلطت أحاديث المعجز مع الصبي ..
 وتجمعت حول المريض ، وقد تمدد في الفراش على ألم

أفراد أسرته .. فكانوا ، حول شيخهم ، كمقد ينظم ..
 العمُّ عبد الله ، قد بلغ المعاش .. وصار شيخاً فانياً ..
 أما الدريثُ الكبير .. فراح يجلس من أبيه دانياً ..
 وأخوه «عباس» الصغير .. الجامعيُّ .. يكاد أن يتخرّجاً ..
 والشيخ «نوفل» .. وهو فلاح بنى بسعادة ، قزوتجاً ..
 أما النساء .. فأمُّ أحمد .. وهي جالسة قبالة بعلها
 ونفيسة أم الدريث .. وهي تشبه أختها في شكلها ..
 وسعادة ، في ثوبها الرقيق ، والخلخال زينة رجلها
 وبجنتها سلوى .. مثقفة .. وليست في الجمال كئلهما !

وجرى الحديث .. وكان نور الدين تحت غطاءه يتألم
 لكنه يصفي ، ويسمع ما يقال .. وقتنا يتكلم ..
 قال الفتى عباس :

«أهلاً يا ابن عمي !»

قال أحمد :

«مرحباً»

قال الفتى :

«ما حال مصر؟ فقد أطلنا عطلة وتقيشاً ..»

إني أحن إلى المقام بها أحنُّ إلى رحاب الجامعة ..
 أبني مواصلة الجهاد .. إلى متى فينا الأجانب طامعه ؟
 أسمعت يا ابن العم .. ماذا كان منا أمس يوم القنطرة ؟^(١)

(١) القنطرة : المصبوبها كوبري عباس ، والإشارة هنا إلى حادث كوبري عباس
 الثاني عام ١٩٤٧ . أما الحادث الأول فوقع في ١٤ نوفمبر عام ١٩٣٥ ، وهو الذي
 وصف وصفاً دقيقاً في الفصول الأولى من هذه الملحمة .

ثرنا على حكم السراى .. فالتقيت فى النيل منا جمهره ..
 كم أطلق الجند الرصاص على الشباب المستميت ، وأطلقوا ..
 لكن أبطال الشباب تجمعوا زمراً ، ولم يتفرقوا ..
 ورأيت أفطع ما رأت عين . شباب فى الفضاء تعلقوا ..
 والنيل يكي للضحية حين تسقط فى المياه .. وتفرق ا ،



وهنا تذكر أحمد يوماً تقادم فوق تلك القنطرة ..
 فى قلبه ، أو قلب زوجته ، له ذكرى تظل مسطره ..
 ورنا إليها لحظة ، ورنى إليه .. لذكر أمس الدابر
 وتجمست فى ذهنه .. أو ذهن زوجته .. وصية صابر ..
 ، الانجليز هم أعداؤنا ، .. هذى الوصية خالده
 ولسوف يحفظها البنون بأسرم .. عن والد ، أو والده ..
 ولسوف يأتى اليوم .. يوم جلائهم .. لكن متى ؟ لكن متى ؟
 فلنعم ذاك اليوم .. يشهد بجره شيخ .. وبملكه قى ..
 هذا هو الأمل الكبير .. لذلك سى أحمد ابنته ، أمل ، ..
 وصديقه البطل الشهيد .. لذلك سى « صابراً ، باسم البطل ا



وتكلم الشيخ المريض .. فقال لابن أخيه قولاً خاطئاً :
 « ثرتم على حكم السراى .. أم الدخيل ؟ ،
 فظل أحمد صامتا ..

ومضى يحدث عنه عباس ، قال :
 « سلمت يا عماء ..
 حكم السراى يشيع فى الوطن الفساد . ونحن لانرضاه ...

فتبسم الشيخ المريض ، وقال :

« من أنتم ؟ »

فقال له الفتى :

« نحن الشباب ! »

فقال :

« عشتُم يا بني .. فإن يومكم أتى ! »

ومضى يحدثه ، وينظر للوجوه . . . يعمها بكلامه
الشيخ نور الدين بوصيه . . . وعرض الصدق في أحكامه . .
قال :

« اسمعوا لوصيتي . . إلى آخر اليوم دانية الأجل
الانجليز هم هم أعداؤنا ... »

فاهتم أحمد واعتدل . .
هذا كلام لم يكن يوماً لسمع من أيه مثله ..
هذا كلام المحضر المشهود .. هذا الشيخ بوصى أهله . . (١)
ومضى يقول الشيخ :

« عشنا في الظلام .. وذاك عيش أنكد
لا .. لا تعيشوا مثلنا في القيد .. إن الحر لا يستعبد
عباس قال اليوم عن حكم السراى مقالة من صادق
لكن أقول لكم مقال الحق معترفاً .. وأشهد خالق
نحن الذين بخوفنا ، وبضعفنا ، وبكفنا .. صفنا الضم
ماذا نخاف ؟ نخاف حكم الموت ؟ هذا الموت فينا يحتمك . .
كل أمرى يوماً سيلقاه .. وسوف يحى يوم حسابه

(١) المحضر - المحضر

صدق الكتاب ، وإنما دكل أمرى رهن بطى كتابه ،^(١)
 فلم المذلة والهوآن . ؟ لم الخضوع إذا الحكم الأجنبي ؟
 هذى البلاد لمن ؟ وهذا النيل يجرى بالثراء الخصب ؟
 أجالس فى عابدين .. لما يعانى الشعب لا يتألم ؟
 أم غاصب قد بات فى قصر الدبارة .. يستبد ويظلم ؟
 الإنجليز هم الآلى صنعوه .. طفلا فى قسيب تئامه ..
 ولكى يقيموا ملكه .. جعلوا من الإقطاع حراً دعائمه ا
 لا تركنوا لعدوكم .. فالإنجليز عدو مصر الأول ..
 ووراءهم جيش من الأذئاب .. يفعل فيكم ما يفعل ..
 إن شئتم أن تستقل بلادكم ، وتصحح الأوضاع ..
 فتلاثة أعداؤكم .. محتلكم ، والعرش ، والإقطاع ..
 شدوا عليهم شدة .. فجميعكم تنفرق الأعداء ..
 لا تنفلوا من حقكم .. حتى يتم عن البلاد جلاء ا



فى عصر ذاك اليوم . مر جماعة فى الحقل فوق المخضرة ..
 قد نكسوا حزناً رموسهم .. وساروا فى طريق المقبرة ..
 وهناك تحت الدوحة الكبرى .. وعطر الورد يلفظ روحه ..
 هبطوا بنور الدين منواه الأخير .. ووسدوه ضريحه ..
 ورآه أحمد .. وهو يهبط فى الظلام ، وفى الرطوبة فانفجر ..
 ييكى كا ييكى الصغير .. وما به ذكرى الطفولة والصغر ..
 ييكى لجليل قد معنى .. وتحملت ذل الحياة كرامه ..
 ييكى لشعب .. تحت أقدام الدخيل تطلعت أعوامه ..

(١) البيت لشوق من نصيحة فى رثاء كارثارفون ، وهو مطلقاً ، وكأله :

و الموت ما أميا ولى أسياه كل أمرى رهن بطى كتابه ا

يكي لشيخ .. كان يخفي عنه صدق حديثه وشعوره
حتى رآه في سرير الموت .. يكشف عنه من مستوره ..
فإذا بها الوطنية العليا .. ضمتها جوائح صدره ..
وإذا به الإيمان .. محتلاً هناك بمحونه ، وبصبره ..
وإذا بروح الشعب تغمره .. وتدعو المؤمنين لنصره ..
قد طال صبر الشعب - يارباه - فانظر في عواقب أمره !

عند الإرهاب

مضت السنون ، وذو الفقار يفر من بين ، ليدخل معتقل ..
 طورا يعود إلى كتيته .. ويقطع تارة صخر الجبل
 ما إن يرى في صحبه ، حتى يرى متخفيا ، يتسكرو ..
 ووراءه ، القلم السياسي^(١) ، الرهيب .. جهوده لا تقتر
 وعونه يقضى .. ولكن أين منها ذو الفقار المنتبه ؟
 ما كان من أحد يراه في تنكره العجيب .. فيشبهه !
 في الجيش كان على الذخيرة ، والخزائن يوم ذلك تزخر
 برهيب ما جلب الجنود الانجليز من السلاح وأحضروا
 ففضى يقدم للخلايا ، من صناديق الهدايا .. عن ثقه ..
 نعم الهدايا للشباب ، مسدسات ، أو قتابل محرقه ..
 وتسابق الأشبال ، يتندرون في الميدان فضل التضحية
 وتتابع الإرهاب^(٢) تفدية لمصر .. وبألها من تفديه !
 في حادث المترو .. وقد سكن الظلام ، وعم كل الضاحية^(٣)
 هطكت على جند الخليفة نار موت ، ثرة ، متواليه ..
 في حادث السينما .. وقد جلس الجنود الذاهلون ، وحملقوا ..
 وإذا المقاعد بالرموس تطايرت ، وإذا الجسوم تمزق

(١) كان القلم السياسي تابعا لداخية ويعوم بأعمال الجاسوسية ، وله فطائم وأعمال
 رهيبة ومن حسات الثورة أنها ألته منذ لحظة قيامها .

(٢) المقصود بالإرهاب هو أعمال الوطنيين المتواصلة ضد قوى الاحتلال وجنوده في مصر

(٣) الضاحية — مصر الجديدة .

في حادث النادى .. وضباط الخليفة بالصدور مرصه
وعلى المناضد دونهم ، قد صففت للشرب أقداح الجمعة !
وبنات إسرائيل .. في عيد القيامة .. بينهم تنخطر ..
أنواهن نظيفة .. وجسومهن من القذارة أقنرا
وإذا صعبى .. يرى تحت المقاعد ، ماسحا للأحذية
وتناولت يده القروش .. ونفسه عما يحاول راضيه ..
هل كان إلاذا الفقار .. وقد تنكر .. والعدوبه انخدع ..
يخفى قتاله .. وأحذية الخليفة في يديه تلتمع ..
ومضى يغادرم على عجل .. وأصبح في الطريق ، ولم يك
حتى تفجرت القنابل ، تنسف النادى .. فلم يسلم أحدا !

في هذه الأثناء ، والإرهاب مثل لظى الجحيم الماتره ..
جمع الجهاد الحمر تحت لوائه أبطال مصر الثائره ..
عرفت لهم قصص وأخبار ، على الأيام ، ترويهما الصحف
عرف المعلم مصطفى ، ومعوض الحال .. فيمن قد عرف
كان المعلم مصطفى شيخا ، عظيم الهام ، أروع ، أشقرا ..
ومعوض الحال شرعا . يحمل الأثقال ، جلدا ، أسمرا ..
فتحا بقصر النيل ، للتوريد والتصدير ، باب المكتب
وتسلبا عملا يدر عليهما ، للرزق ، حر المكتب
واستأجرا سيارة للنقل ، ما بين السويس وبور سعيد ..
تمضى بالوان البضائع للبواخر .. ثم ترجع بالحديد
وتمر في التل الكبير ، من الضحى ، بمعسكرات الانجليز
وتعد للقد عدة كبرى تحرر بعدها الوطن العزيز
فلكم دنا ركب المعلم سافراً ، لمسكر ، ومعسكر
ومعوض الحال ينتهب السلاح .. ومن سواء يجترى ؟

ليبعه الأحرار في سوق الجهاد .. وبالأمانة ينهض
 مثل يلوح من الشجاعة نادر .. وعلى المزيد يحرض
 لم يكف ما رسم المعلم مصطفى ، أو ما استباح معوض
 هناك راحا يجمعان كتيبة بصورها تعرض ..
 لا ترهب البطش الرهيب من العدو وناره .. لا ترهب
 وكما يصوب نحوها « الرشاش »^(١) .. في كنف الظلام تصوب
 فرق من العمال ، كم نظم النهار صفوفها في المكتب
 الأمر يلقي في الصباح ، ويبدأ التنفيذ بعد المغرب
 فتروح بعد الظهر أفواج على درج القطار المسرع
 وكأنها جيش الفداء ، بغير قبة يغير .. ومدفع ..
 وتعود عند الفجر أفواج ، قعنت ليل البطولة ساهره
 وكأنها جيش بموфор الغنائم .. راجع للقاهرة ا

قال المعلم مصطفى ، لمعوض الحال ، يوما :

« يا فتى ..

هي فرصة سنصيد فيها طائرين معاً ،

فقال :

« متى ؟ متى ؟ »

عجل فديتك يا معلم ا ،

قال :

« ذلك ما أريد وأرغب ا ،

وتحركت سيارة بهما ، تشق طريقها ، بل تهب
 وتوقفت بهما لدى قصر ، رحيب بالزمالك باب
 ويلفه الصمت الرهيب ، كأنما قد هاجرت أصحابه

(١) الرشاش - المدفع .

فترجلا .. وتقدم البواب يتندر المعلم أولاً ..
ومعنى يقودهما إلى الصالون في أدب .. وقال :
« ~~تفضل~~ »

فإذا بصالون ، فرنسي المقاعد ، قد تموء بالذهب ..
وإذا البساط الفخم من طهران .. واللوحات آيات عجب ..
وإذا الستائر ذات أسلاك من الذهب الرقيق الخالص ..
وإذا أواني الزهر ضاحكة .. كما لاحت لعين الفاحص ..
وإذا بصدر الحجرة الحمراء .. يحمل رائماً رسم الملك ..
كالشمس تسطع حولها صور التوابيع .. في مدار كالفلك ..
وإذا بسحر مبهم الخطفات ، بين الظل واللبعان ..
جعل المعلم مصطفي ، ومعرض الخيال .. يندهشان !

وأزج ستر من وراء الباب ، شفاف الحرير ، مهيف ..
وتقدم الشيخ الوقور ، يش للضيفين .. أو يتلطف
هذا الثرى ، موفق الدين الشريف .. وقد سمعنا باسمه ..
رب الضياع العامرات ، وفو النبالة والغنى في قومه ..
متمم ، ومورد لقصور مولاة المليك الصالح ..
ومورد للانجليز .. يمد من زرعه بمواخ ..
شره الرجال ، وشر أصحاب الثراء ، وسفلة الوجها ..
من يدعون الباقيات الصالحات .. وهم من العملاء !

وأتى شراب من عصير الورد ، قدمه لم بعض الخدم
وتقدم الشيخ الثرى بمائة الحلوى . وأتبع بالقسم ..
وجرى الحديث .. تكلم الشيخ الثرى إلى المعلم مصطفي
ومعرض الخيال بالنظر الحفي ، والاستماع .. قد اكتفى

قال المعلم :

« قد حضرت كما طلبت فسلطنا في خدمتك ١ »

قال الثرى :

« وكلنا نسعى إلى مرضاة مولانا الملك ١ »

ومضى يقول :

« لقد سمعتم بالحوادث ، والأمور الطائشة

وحالة الأوشاب ، والأحزاب ترتكب الجرائم فاحشه ..
في كل يوم يقتلون مجندا ، أو يهبون معسكرا ..
عظمت جرائمهم ، وعمت كل أنحاء المدائن والقرى
ولقد علمتم أن هذا الطيش مجنون ، ونعيم العاقبة
هذى هي الرطبة الحقاء .. بل هذى الدعاوى الكاذبة ١ »
قال المعلم مصطفى :

« يتوهمون الانجليز ستخرج ..

وهناك عند مشارف « التاميز »^(١) ليث واقف يتفرج ١ ،
فتبسم الشيخ الثرى ، وقال وهو مغالب بسماته ..
« أحسنت وصف الانجليزى الشجاع .. فلك بعض صفاته ١ ،
وتعلم الحال .. إلا أنه بصغيرة لم ينطق
سمع الأليم المر من بدء الكلام .. وسوف يسمع ما بقى
وتكلم الشيخ الثرى ، فقال :

« انصت يا معلم ، وانهم ..

إني دعوتك كي أسر إليك أمراً للمليك الأعظم ..
فلقد عرفنا أمك الشهم الجرى من الرجال الأروع
متعمد .. تنحني إلى التل الكبير كما تشاء .. وترجع

(١) مشارف التاميز ، أى موضع مصبه من البحر حيث تقع مدينة لندن .

القصر لا يرتاب فيك... فأنت تعمل دائما للسكب
 لكن يهاب الفوضوية في البلاد ، وسعى كل غرب
 ويريد منك ، ومن صديقك ، أن تكونا عوناً .. بل هيته
 تتحسان له على الإرهاب هل جمع السلاح ؟ وأين هو ؟
 بولسوف نعقد صفقة .. حتى ندارى سر كل مقابله ..
 سيكون فيها بيننا عمل .. وندفع أجر كل مقابلة ..
 ولكل الجزاء الوفير .. حقك يا معلم تقتضيه ، وواجبك
 بولسوف تحظى بالرضى السامى على الأيام .. أنت وصاحبك ،



قال المعلم مصطفى ، متظاهراً بقبول ما عرض الثرى ..
 وبيمينه تمتد نحو المال ، تأخذ بالنصيب الأوفر :
 « نحن القداء لأمر مولانا .. ونحن جنوده .. فليأمر ! »
 قال الثرى :

« حذار قتل الانجليز .. ونسف أى معسكرا
 حل دون ذلك مصطفى .. فالانجليز هم .. حلفاؤنا ... »
 وتعلمل الحال .. صاح :

« الانجليز هم أعداؤنا .. »
 وإذا بصوت من وراء الستر يعرفه معوض جيداً
 لكن نحاشى رده ، إذ كان حملاً ، ولم يك سيداً ..
 نادى رقيقاً :

« يا موفق .. لم تكن فيما فعلت موقفاً
 أو ثقت فى الأفعى ١٩ »

وزاغ موفق الدين الشريف ، وحلقاً ..
 وإذا بكف للمعلم مصطفى ، تهوى على الحال .. تلهب خده ..
 وإذا بأمر منه ، يجعل ذلك المفتون .. يلزم حده



عاد المسلم مصطنعاً ، ومعوذ الخيال نحو المكتب
يتعائبان .. وإنما رجعا إليه بثروة ، وبمكسب ..
وتقدما لينفذ الخطط الجديدة ، والأمور المعقدة ..
لم يمض بعض الوقت حتى روعت حتى الزمالك .. قبله !
نسفت به قصراً .. أقيمت فيه آيات السعادة والترف
وتهاوت الجدران واختلط التراب مع التباله والشرف !
لم ينج رب القصر من موت .. ولا كتب الأمان لزوجته
إلا لأنهما وشيكا غادراه .. لينزلا في ضيعته !

(١٢)

متطوع في فلسطين

في هذه الأيام كانت في فلسطين المارك تستخدم
وتتم أفواج من المتطوعين إلى الجهاد... على قدم
حمل الشباب سلاحه.. هانت عليه الروح.. للموت اقبح
ليفض من أسطورة الوطن اليهودي البغيض.. وينتقم..
من تلك قرن وهي داء في قواد الشرق يسرح سمه..
هي حلم الاستعمار في أرض العروبة... لا تحقق حله..
هي وعد بلفور^(١) الذي قد جاد بما ورثته.. أمه !
هي مجد صهيون القديم، وزعمه أن يسترد، ووعده...
هي شوكة مرشوقة في جنب أبناء العروبة... دامية
هي رأس جسر للعدو... غداة تنطلق المارك حاميه
هي حلم إسرائيل في إنشاء أوسع دولة مترامية
النيل فيها وللقرات... تروح قاصية، وتقبل دانيه !
لم لا يكون سبيل ذلك الحلم، والملك العريض المقتصب
تشرذم أبناء البلاد المساكين لها... وإذلال العرب ؟
ولإباحة القتل الرهيب، من الرجال أو النساء... بلا سبب ؟
لا دين يعرفه اليهود... ولا ضمائر.. للحصول على الذهب !

(١) بقرور هو وزير خارجية بريطانيا اليهودي، التي وعد اليهود عام ١٩١٧ بإنشاء
وطن قومي لهم في فلسطين... وقال في تصريحه لحايم وايزمان ممثل اليهود عقب جلسة
مجلس الوزراء البريطاني التي اتخذ فيها ذلك القرار « أن المولود ذكر »... .

نشب القتال غداة أخلى الإنجليز وجيشهم أرض البلاد
 هم أسلبوها لليهود ... فأسلبوها للنذالة ، والفساد ...
 فتحرك الجيش الأبى بمصر ... مخترقا دروب القاهرة ..
 تثب القلوب لوقع موسيقاه .. تبتدر المعارك ظافره ...
 وتقدم المتطوعون ليذلوا دون الحى أرواحهم ...
 خرجوا على مجل ، لكي يضعوا بأفئدة اليهود سلاحهم ...
 ذكروا النبي^(١) .. وكيف أجلام .. وبددوا في الجزيرة شملهم
 لئى الجدود مصيرهم .. ولسوف يلقاه الخلائف مثلهم
 إن اليهود عدو هذا الخلق طرا .. حاربوا أم سالموا ...
 لو تم إجلاله اليهود عن البسيطة .. لاستراح العالم

* * *

فى زمرة خرجت على الأقدام تدفعها الحماسة والنضب
 خرج الفدائي ، الفقى «عباس» .. يثار للعروبة والعرب
 ولذلك خف لدار بعض رفاقه ، كى يستشير ويقترح
 قال الصديق :

« لقد سمعت بأن بابا للمتطوع قد فتح
 باب العلى والمجد يا عباس ! »

قال :

« ونحن لا نتردد

لكننا لسنا من الجيش المحارب ! »

قال :

« ذلك أرشد

سنكون فى المتطوعين ، مع الفدائيين .. نحن الأسبق

نحن الطليعة . نحن يا عباس .. ذاك هو الجهاد الأصديق ! »

(١) أخلى الذى سلبه عليه وسلم اليهود العرب عن المدينة ثم من خير ، ثم أمر
 . ثلاثهم من شبه جزيرة العرب كلها ، وقد تم ذلك .

وأجاب به عباس :

« والتطوعون .. أخرجون بلا نظام ؟ »

فأجاب صاحبه :

« وممت ، فإننا سنكون في صدر الصدام .. »

نحن الكتبية في السلاح الحر ، ساحقة الأعدى ما حقه !
وهنا تهلل وجه عباس ، وصاح :

« إذا ، فنحن الصاعقه ! »

* * *

خرج الفتى ، وصديقه ، متطوعين ، لينقذا أرض الحمى
لحقا بأبطال الروية ، من جميع بلادها .. لم يحجبا ..
من مصر ، والسودان ، من مراکش ، من تونس ، من ليبيا ..
ومن الحجاز ، من الشام ، من العراق .. تسيل فيضاً جارياً
تولا العريش مع الجنود على الضحى .. ومن العريش إلى رفح
وتقدما بين الصفوف لغزة .. رغم الهجير وما لفع ..
واستعرض البطل الفدائي ، الكمي جنوده .. عبد العزيز !
ورآه عباس ، فقال :

« على يدى هذا جلاء الإنجليز ! »

ومضى يفكر في شئون بلاده ، بل في عجب أمورها
ويقول :

« فينا الأسد والأبطال .. ثم نذل عن تحريرها ؟ »

ها نحن جيش بالسلاح مدجج ، خاض الممارك ظافره ..
يحمي فلسطين القرية ، والعدو مرابط في القاهرة ..
والانجليز هم هم أعداؤنا .. ما نبتغي بجهادنا ؟
نجلي اليهود ، أم الأئى طال احتلالهم لأرض بلادنا ؟
ما الفرق بين الإنجليز ، وبين شذاذ اليهود المارقين ؟

لا فرق بينهم .. قراصنة البحار كسفلة المستعمرين ! ،
وهنا قلبه من خواطره .. فقائده إليه تقدما ..
ومضى يصاحفه ، يشدُّ على اليدين مشجعا .. وتبسما ..
في لحظة ما كان يعدُّ لها لديه سوى خروج الانجليز ..
عباس في الميدان جندى .. تصافح كفه عبد العزيز !



وتقدم البطل الكمي إلى العدو .. وجنده من خلفه
نشر الطلائع في ربي الوادى .. قبل نظر العدو لحقته ؟
في قمة الجبل النضير ، وتحت أشجار المروج الباناه
وحداق الزيتون تضحك ، وهى للأسد الحصون المانعه ..
من دير ماريا ، تسير إلى الخليل ، ويبت لحم .. فرقته
وتزلزل الأرض المقدسة الحبيبة .. حين تظهر قوته ..
أبدا تراه على الطريق ، مشجعا ، وعمرضا ، ومباركا
وإذا دنا منه العدو ، تراه ليثا بالسلاح مشاركا ..
نطحت كتابه العدا .. من قلعة في الأرض أو مستعمره ..
وتقدمت عند الغروب لبئر سبع .. باللواء مظفوره ..
ومضت تطوف قوية حول الخليل .. على الدوام مدججه
فار الحاسه والقداية في الصدور وفي النفوس مؤججه ..
حتى إذا انفتح الطريق ، وصار درباً للعبور مهداً ..
دخلت جموع الجيش ظافرة لتسحق كل ما حشد العدا ..



وتفكر البطل الكمي .. ومر يوما في صفوف رجاله ..
يبغى رسولا يطمئن إلى الهدى والصدق في إرساله
فاختار عباساً ، .. لما ألفاه من إخلاصه وبسالته
وهناك أغضه لقالوجا .. وزوده بسر رسالته ..

تكون بين الجيش والمتطوعين .. له صلات كاذبه ..
 وليكشف البطل الطريق على العدو .. فما لم من باقيه !
 وقف الكى يودع الشبل الرسول .. له حديث مودع ..
 وقف الكى على الطريق ليبت لحم .. فى الفسيح الممرع ..
 حتى إذا انطلق الرسول ، وغاب عن عينيه .. قال يشيعه :
 « باركه ياربى ! »

وحول عنه ناظره ، وقاضت أدمعه !



ومضى يسير على الطريق، إلى المعسكر ، والمواقع .. ونحده ..
 وأصاب هاتفه ^(١) فراح من المكان به يخاطب جنده
 ورمى بمقلته إلى أقصى الطريق .. هناك .. حيث المعركة ..
 وتهدد البطل الكى ، وقد رأى شيخ الردى والتلهكه
 وتقيضت يده على الغدارة السوداء طلى حزامه ..
 وتذكر الوطن الحبيب .. وما يقول الشعب فى أحكامه ..
 ومضى يغمغم قاتلا :

« هذى معاركنا .. فهل نستشهد ؟
 ماذا يقول الناس عنا فى غدا ؟ ماذا يحى به الغدا ؟ ،
 وأجال نظراته الأخيرة .. فى حمى ذاك المكان الرائع ..
 وللقعد فوق الطريق .. احيط من أزهاره ببساتين ..
 ومضى يقول :

« أجل .. هنا قبرى وتمثالى .. كذا يحزى البطل !
 والمقعد الحجري راحة زئر ، أو قاصد .. صعد الجبل !
 سيجى زوار إلى .. وسوف يأتى ابنى .. يفاخر بالآب ..
 ويقول « فى هذا المكان مضى مع الأبطال حر المذهب .. »

(١) الهاتف — المسرة ، الليفون .

وكذلك البطل الشجاع إذا قضى ، وكذلك الحز الآنى ..
يختار أشرف مئة .. فى الوقت منه ، والمكان الأنسب ..



ثم انثنى بعد الغروب .. وسرحة الوادى تفيض زهورها
وحداق الزيتون ، فى كنف الدجى .. أخذت تعود طيورها ..
وهناك أنسى لفظة السر اللعينة .. فى المروج الهائشة ..
وتكلم القدر الرهيب .. وعبرت عنه الرصاصة .. طائفة !



فى أرض فالوجا .. تجمعت الجنود ، وحوصرت . لا تخرج ..
فى موقف أبطال مصر إلى منافذ الدققة .. أخرجوا ..
هى خدعة الحرب الكبيرة ، إنما وضعت لإذلال العرب
خرجت جيوشهم القوية سبعة .. كالدب أقبل فى الشهب .. (١)
لكن قيادتهم .. تمثلت الخيانة عند أصل جذورها ..
قبلت لأمتها الهزيمة ، رغم قوة بأسها ، وظهورها ..
فى ضفة الأردن ، عبد الله .. يتخذ المغامر (٢) قائده ..
وبمصر « فاروق » .. يبيع الجيش أسلحة القتال الفاسده ..
أما العراق ، فلم يزل « عبد الإله » بجيشه متأمرأ ..
قصر الزهور يرى ويشهد كيف اصدر للجنود أوامراً (٣)
ما أسوأ الحال التى بلغت إليها اليوم أقدار البلاد ..
لولا يمكن فى أرض « فالوجا » فريق من طلائع « متقباد » !

(١) إشارة إلى أن جيوش البلاد العربية السبعة فى حرب فلسطين كانت أهله بالهجوم
الذى يتألف منها العرب الأكبر فى السماء .

(٢) للمغامر هو جلوب البريطانى قائد جيش شرق الأردن .

(٣) كان عبد الإله فى بغداد يتبع سياسة تجنيد الجيش العراقى فى حرب فلسطين ،
ولذلك لم يصدر إليهم أمراً بالتقدم ، وهى السياسة التى أطلق عليها التعبير المشهور
« ما كرو أوامراً »

جلسوا إلى نار هنالك ، في الربيع على شفير الخندق .
يتحدثون حديثهم من قبل . . فعل الحامس المترقى . .
قال الفتى المرموق :

« هاقذ ضمنا يا صعب ميدان القتال . .
الجيش زهرته بفالجاً . . وجيش الانجليز على القتال . .
تمت مكيدتهم . . وصرنا والعدو أمامنا ، ووراءنا . .
لم يقصدوا واقه إلا سحقنا . . فتى نرى أعداءنا ؟
إني لمست على الطريق ، من الخليل لبرسبع . مشهدا . .
جنب اليهود وظلم . . لا تعجبوا . . ليس اليهود هم العدو . .
الغرب ملكهم فلسطين العريضة . . إنه سبب الشقا . .
هو وعد بلفور البعيد ، وعهد روزفلت القريب تمققا . .
لكن . . هنالك ما يؤرقنا . . أجل . . أمرٌ أجل وأخطر . .
ومضى يفكر ساهماً . .

قالوا له :

« ماذا هناك ؟ »

وفكروا . . .

قال الفتى المرموق :

« أصبحنا ومشكلة المشاكل ظاهره . .
هي عقدة ، ليست تحلُّ هنا . . ولكن حلها في القاهرة . .
الجيش حر . . ثابت الأركان . . لكن القيادة فاسده
لا بد للجيش المظفر أن يثور . . وإن ينحى قائده
لم يبق في فاروق من أمل . . أجل يارفتى ضاع الأمل
وأراه يفرق في مبادله . . وهل يجدى الخواء المبتذل ؟
إن نحن عدنا سالمين لمصر . . بعد حصارنا . . فإلى العمل . .
وإلى الجهاد . . وثورة في الجيش . . ترفع هامنا بين الدول . . »

هذا هو العهد القديم بمنقباد . . سعيه يتوهج
مضت السنون العشر تذكى ناره . . واليوم حان المخرج !

(١٣)

حريق القاهرة

ما أعجب الأيام تعمل في ثناياها المواعظ والعبر
وتبدد المصول من حلم الطفولة في تجارب الكبر
لكنها تمضي .. فلا تبلى من الأرواح ماتلى الجسد
كم من فتى شيخ ، وشيخ في العزيمة والشجاعة كالأسد !
وأعز آمال الفتى ورؤاه في عهد الشباب الأنصر
سرعان ماتنسى وتفتقد في مناهات الجهاد الأكبر ..
لكن آمال الشعوب يظل حر لمهبها يتوقد
هي في النفوس حبيسة طول المدى .. حتى يحين الموعد !

* * *

أرأيت أحمد بعد أن مضت السنون ، وحاز حد الأربعين
وغداً أبا لثلاثة .. أمل ، وصابر ، والصغيرة ياسمين !
وغداً يؤلف ما يشاء من المباحث والفصول وينشر
وابتاع مطبعة بياب الخلق ، تبسط رزقه أو تقدر
فيها القناء عن التوظيف .. ياله قيداً ، وإن بك من ذهب !
يقضي صحابة يومه فيها ، وشطراً منه في دار الكتب ..
درجاتها العليا كم شهدت .. والباب المطعم بالصف
ورأته قاعات المطالعة الفسيحة .. وهو يقرأ في الصحف
شغلاه تحرير البلاد من العدو ، وطفرة المجتمع ..
وتدأزه :

ديامصر .. هي من سباتك .. قالبيب قد اندلع !

نعم الأمين على الرسالة عند أيام الشباب الأول ..
رغم العوائق ، والمعاش ، والبنين ، وكل خطب معضل ..
فلكم أعد هناك منشوراته .. ولكم أدار المطبعة ..
وبجنبه دار المحافظة الرمية . منظر ما أبشعه !

لكنه عرف ، الكلوب ، .. فراح يجلس فيه بعد المغرب (١)
في رفقة جدد عاياه ، وكم خيبت في الرفاق وطيب
والانجليز ، عجز الناصي .. لهم خلف الزجاج مجالس ..
كم سحنة مقلوبة .. والوجه في الكأس البشوشة عابس ..
لكن أحمد والرفاق لهم بقاصية المكان المنضدة
في موضع كشف الطريق لهم ، وأعجز طبراً أن يشهده !

جلسوا هناك عشيّة يتسامرون .. فراح أحمد يأل :
« ما نجم صاحبكم ؟ »

فقال له صديق :

« عن قريب يأفل ! »

وأجاب ثان :

« هل علمت ما أصيب به ، ففارق خسارة ؟ »

ذهبت محاسن .. يارفاق .. خيبة .. عند احتراق الطائر ١ ..
قالوا :

« محاسن ١٩ »

عند ذلك راح في التفكير يفرق أحد ..

قال :

« لقي كنا عرفناهما ، ونحن مع الشباب نريد .. »

(١) الكلوب - الناصي .

كانت فتاة الليل .. يعرفها الجميع 'كل حب شاخصه:
وعرقها تلك الليالي .. وهى فى ملهى رجااء .. راقصة ا ،
قال المحدث :

« من محاسن هذه ؟ ما شأنها ، ما خطبها ؟ »
فأجاب صاحبه :

« لقد كان 'المليك' يعزها ، ويحبها ا ،
قال الفتى :

« أيجب راقصة .. ويخلع 'زوج'ه ويأثته ؟ »
قال الصديق له :

« ولم لا .. وهو يصب 'بنى .. ويخطف 'هاته ؟ »
وأجاب قائمهم :

« أهمل .. هذا المصلى للتداع بلا وضوء ا
هذا الذى كنا نراه بشير لإحسان « فعاد نذير سوء ا ،
وتضاحك الزملاء فى مرح .. ولكن قال أحمد :
« ويلكم ! »

لا ترفعوا أصواتكم . فله الجواسيس 'الموائل' حولكم :
أو ما علمتم أنه الذات 'المصونة' .. لا تمس .. على المدى
والعيب 'فى ذات الملك . عقابه السجن الرهيب .. مؤبدا ؟



ومضى إلى الدار الحبية وحده .. وخلت من الناس السبل
وأنته سلوى بالعشاء .. وكان مهموم الفؤاد .. فما أكل
وتكلم المذبايع .. وانطلق البيان إلى الفضاء مجلجلا ..
صوت يشق عليه جوف الليل ، يطلق ثورة وقنايلا ..
صوت المذيع يقول :

« .. معركة القتال تدور فى إصرارها .. »

منذ الصباح قد أنبرت شرط لمركة القتال ونارها ..
 ضربوا لآخر طلقة .. صدوا لآخر لحظة .. لم يسلبوا
 قد لفتوا الأعداء درسا قاسياً .. لو كان غرضهم ..
 ألتي ، معالي ، القائد ابن الجباري .. اليهم بأوامره ..
 : لا تتثنوا حتى وإن نفذ الرصاص لديكم من آخره ..
 بل حاربوا بثباتكم ، بجنانكم ، بقلوبكم ، بصوركم ..
 حصر العزيمة سوف تفخر دائماً .. بجهاكم ، وشعوركم ،



وتعجبت سلوى ، فصاحت :

« يا حمادة ! »

وهي تجف ثأره ..
 « القائد ابن الجباري .. هو الذي يعطي الجنود أوامره ..
 عجبا له .. أقيم في ذهنية كالتصريح عند المنيل ..
 ويدير معركة القتال .. مضحيا بشبابنا المستبسل ؟
 ولعله أخذ المرة .. وهو يستلقي .. بحجرة نومه ..
 ليدبر معركة القتال بأذنه .. ويربح متعب جسمه !
 أنرى المفارقة الغريبة ! »

قال أحمد :

« لا غرابة فاعلى ..

هذا الوصول الذي أضحي لسيدته سوار المعصم ..
 كنا نسميه الزعيم ، ولم يزل غض الإهاب شبابه ..
 فندا معاليه وزير العبقرية .. فالجميع يهابه ..
 قالت :

« كذاك الانجليز تهاب سطوته ! »

وراحت تضحك

وقول :

« قائدنا بمعركة القتال ، له السلاح الأفك ..
وكتائب الشهداء يبلغها على جبل المسرة أمره ..
وبنادق الصدا القديمة صوتها عبر الفضاء يسره .
لا يا حادة .. هانت الأوطان .. والفيضان -ال على الرئي .
شعب يضحى بالدماء .. وحاكم لم يحتشم أن يكذبا ..
إن كان أبطال بمعركة القتال ، على الرصاص الطائر ..
فهم الجنود المؤمنون بحق نصر من الشباب الثائر !»

وبدا صباح عابس القسيات ، راح يلف وجه العاصمة
وتواترت منذ الضحى الأنباء ، عن سحب الدخان أقاتمه ..
وازداد أحمد دهشة لما مشى في الظهر نحو المطبعة
فرأى «الكلوب» .. أتى اللبيب عليه .. والتم التواحي الأربعة
والإنجليز ، عجائز النادی ، وهم حول الموائد ، أحرقوا ..
وحالة الغوغاء صاحبة .. وأحمد لا يكاد يصدق ..
فشى مع الماشين .. لا يدرى له هدفا .. ولا يدرى أحد
ورأى الحريق يشب في ريفولى . وفي الأوبرا . ويزار في شيردا
ورأى اللصوص على المتاجر يسرقون ، وينهبون ثمنها .
ورأى الغداة مدينة شوها ، تطلق كالبحيم لعينها ..
ومضى يحدث نفسه ، ويقول :

« لا حكام في هذا البلد ..
قد أطلق الشر العنان لنفسه .. فالنار تزار كالأسد ..
منذا الذي شب الحريق ؟ ومن له في أن يشب المصلحة ؟
ويعود ينظر حوله ، فيرى حوائط الطريق مفتحة ..
التهب فيها كاللهيب .. كلاهما نار الجريمة تستمر ..

هل يسمعون حسيها ؟ أم أنها الفوضى ثور وتنفجر ؟
ويقول :

« مهما كان من أمر الخلايا ، والجيوب النائرة
فالسر كل السر .. والفرز المعنى .. في حريق القاهرة ، »



وأصابه الوصب الشديد ، فعاد منحدر النهار لداره
ليرى بنيه وزوجه .. ويقص ماقدراح من أخباره
وهناك مر بعايدين .. فأبصرت عيناه أعجب منظر
رقل وراء القصر .. من باشا يخون ، وضابط لا يجترى .
شهدوا الوليمة ، والغداء الفخم ، واستمعوا لما قال الملك
عن مجد آباءه . سادوا على الدنيا ، وخاضوا المعترك .
سمعوا الحديث مطاطين رهوسهم .. ومليكمهم يتشدد ..
لا يرفعون رهوسهم إلا ليتسموا له .. ويصفقوا ..
الذل يضرب فوق مجلسهم رواقا . لاتين ستائر
والبنى ، لورات العيون ، تدور حول الجالسين دوائر
والمجد .. لاح لبعضهم .. لكنهم جلسوا هناك ليشهدوا
ويدبروا للنصر بحكم أمرهم .. ويذلوا ، ويمهدوا ..
لا تحسن مجالس السلطان إذ هي بالتملق زاخرة
تخلو من الشرف الرفيع ، تعددته النفوس الطاهرة !



لكن أحد لم يكن يدرى ، فذاك السر يضمره الغد
فضى يبنى نفسه ، ويصانع الأقدار ، أو يتوعد ..
شغلاة تحرير البلاد من العدو ، وطهرة للمجتمع ..
وندأوه :

« يا مصر .. هي من سباتك .. فالهيب قد اندلع »

سداو مع الفجر

حضت الشهور الستة السوداء^(١) منقلة بأعباء الزمن ..
والشعب في السجن الكبير من الغروب .. فن يفكر في الوطن ؟
أما صغيرات السجن فإنها ازدحمت بأخــــــــــــلاط عجب ..
باللص ، والصحنى ، والحر المجاهد ، والمفوه إن خطب ..
وغدت وسائل الانتقام لمن أراد قريــــــــــــة ، وميسره ..
وتنمر الإقطاع في الريف الحزين .. فياله ! مأحــــــــــــره !
بكفور نجم ، أو بهوت^(٢) .. له حوادث سوف يروها الأبد ..
ودم من الشعب البريء يسيل تحت رصاص عات مستبد ..
فلذاك أشأ أحمد المنشور .. وانطلقت تلحور المطبعة ..
وإذا بشرطى يداهم .. وفيض الحــــــــــــــــبر يفرق إصبعه ..
وجرمة الشرف الرفيع تــــــــــــــــطــــــــــــــــل من شرر بدا بميونه ..
وكذاك سيق إلى العقوبة أحمدــــــــــــــــد .. وكتابه يمينه !
في سجن الاستئناف يقضى في جريــــــــــــــــته شهوراً أربعة ..
فاته في أولاده ، في زوجــــــــــــــــه ، في نفسه ، في المطبعة !
وهناك في زنزانة ظلماء ، بات تلقــــــــــــــــه أحزانه ..

(١) من حريق القاهرة في ٢٦ يناير إلى خروج فاروق في ٢٦ أغسطس

عام ١٩٥٢

(٢) كانت كفور نجم انطاعاً للأمير محمد على من الأسرة المالكة السابقة ، كما كانت بهوت واقعة في انطاع أسرة البدراوى وقد وقت فيها ثورتان مروتان من الفلاحين قاتلها الاطاعيون بسوء وعنف مما أثار العمود الوطنى وقتلوا ضد الانطاع وأساليه الوحشية .

يدهو السماء .. يحول بينهما جدار السجن أو قضبانه
والليل كالظلم الرهيب ، تكاد منه روح أحمد تزهق
والنجم في الأفق البعيد .. كأنه أمل ضعيف .. يخفق ..
لا يسمع الأخبار عما راح في——ه شعبه يتخبط ..
وعن المهانة والنفاق .. وعن وزارات تقوم وتسقط
حتى أني السجن يوماً .. قال :

« أبشر .. في الصباح ستخرج ..

ظيئك الإفراج ، ا

قال :

« متى عن الوطن المعبذب يُفْرَج ؟ ،
ومضى إلى عرض الطريق .. يؤوده ظلم الزمان وقسوته^(١)
وكأنه الشيخ المحطم .. شاه منظره .. وطالت لحيته ا



قالت له سلوى :

« حمادة ا لست وحدك حين تملك صحتك
إن كان جبك مبصر قد ملك الفؤاد .. فأين جبك زوجتك ؟ ،
فتبسم المكدود من هم الزمان ، لحب سلوى الدافئ
وأصاخ وهي تقول :

« هيا نلتبس للبرء نسَمَ الشاطئ ..
نمضي لرأس البر .. في كنف الطبيعة ، والهدوء الشامل ..
لترج أعصاباً محطمة ———ة ، وترجع بالشفاء الكامل ..
وليجرح الأطفال ف——وق الشط ، فهو لهم مراح طيب
إن نحن لم نلعب ، فإذا يمنع الأطفال من أن يلعبوا ؟ ،

(١) يؤوده : يرمقه ، وفي الذكر الحكيم (ولا يؤوده خفلها) .

ومضى القطار بهم إلى دمياط .. يحمل أسرة متهالكة
وتبسم النيل الجليل .. يسوق في عرض المياه .. فلائكة^(١) !
وتلاطم البحر الخضم .. وجاء يسرع من بعيد موجه ..
وتسابق الأطفال فوق الرمل .. واتجهت لأحمد زوجته
قالت :

« لقد سعد الصغار .. وأنت أيضاً يا حمادة أسعد
فلقد أراك الآن مؤفور الشباب .. ونور وجهك يشهد ..
فأجاب مبتهجا بما قالت :

« أحقاً هكذا ؟ »

قالت :

« أجل .. »

لكنني مازلت ألحظ يا حمادة أن ذهنك مشغول ..
الصحف تقرأها مطولة ، وأنباء الإذاعة موزجة ..
تصني لها ، متبعاً خبراً ، برأس التين ، أو بالمنزلة ..
وشغلت بالمستوزرين ، وبالوزارة .. هل أمك أمرم ؟
أم هل دعيت لكي تولفها .. فأنت بدقة تختارم ؟
فأجاب أحمد :

« كيف ياسلوى نطقت ؟ أليس يشغلك الحى ؟ »

غدت البلاد بموقف يجرى له الأحرار أدمعهم دماً ...
هذا المرید فی القصور ، ولست أدري من جنون أو مرج
وكان قضبان الحديقة حطمت .. وكأنه وحش سرح
هو ذا يؤلف كل يوم في البلاد وزارة من عصيته
ويذل أحرار البلاد ، فكلهم متخوف من سطوته
الله يعلم ، لا خلاص لنا ، ولا أمل لدى أولادنا

(١) فلائكة : جمع فلوكه ، ومعنى التواريب النيلية .

إلا تلك الثورة الكبرى .. ولكن .. أين جيش بلادنا ؟ ،

ذهب الجميع لنزهة عند اللسان^(١) مع الغروب المحقق
والشمس تلقى حر أكوام التضار ، على البساط الأزرق
في موقف ضم الفرات إلى الأجاج .. ينوب فيه ويلتقي
والنيل في البحر الخضم ينوص .. فعل الواله المتعشق
وهناك أحمد سام ! متفكر ، يطوى بنظرته الأبد
ماض يحدث نفسه :

« إن كان هذا المنب بالملح اتحد
غلأى شيء لا تم الوحدة الكبرى لشعب مضطهد ؟
ولأى شيء لا تم الوثبة العظمى .. لتحرير البلد ؟ ،

ثم انقضى الليل الطويل ، ولم يبق إلا غرارا أحمد
ويحس أن لابد من حدث رهيب ، سوف يحمله القدر
حتى بدا الفجر الجديد .. فهم يتندر الإذاعة مسرعا
فأبى المؤشر أن يشير .. وجاء صوت ندائه متقطعا
وتجمع المصطاف ، وازدحموا .. وسائلهم يسائل : « ما الخبر ؟
ماذا جرى في مصر ؟ ماذا حطم الأسلاك ؟ جن أم بشر ؟ ،
والشمس باسمه .. على الكون السعيد .. لها الضياء المنتشر
ليست بأبهة لما يجري .. ألا طاب الشعاع وما غمر ..
فكان هذا الصبح من عمر الزمان .. هو الرجاء المنتظر ..
في لحظة خضع الزمان لها .. وراح بجلجلا صوت القدر !

وتكلم المذيع .. لكن .. جاء صوت ليس يعرفه أحد ..

(١) اللسان هو ملتقى فرع دنياط من النيل ببحا البحر الأبيض المتوسط عند أقصى رأس البر . وهو مكان ساحر الجمال وبخامة عند الغروب .

حملته أمواج الأثير .. فراح يرعش كل روح في جسد
ويقول :

« إن الجيش ناز على الفساد .. وأعلن اليوم الغضب
ودعا لتطهير البلاد من العدا .. والأمر للجيش استب ..
وغدت موازين القوى يمينه .. منذ الصباح الباكر ..
وانضم جيش الشعب ، في شرف السلاح ، إلى الحضم النازي ،

وتفرقت زمير ، وعادت تلتقي في الظهير حول الأجهزة
وتوالت الأنباء مفصحة بما يجري ، ولكن موجزه ..
وجرى حديث الدس .. واستشرى رهيب الحمس .. حول الموقف
والناس يوم الروع ، بين مجاهر بالرأى ، أو متخوف ..
والشعب من طول احتلال بلاده .. ومن انتهاك حقوقه ..
لا يطمئن لهامس تجري الدسيسة في صميم عروقه :

لكن أحمد راح ينطق بالحديث على السجية واقفا
إن أعلن المذباغ نصر الجيش ، راح مصفقا أو هاتفا :
وتحدث الحر الجري فقال :

« هذا الجيش ناز عطما ..

كالعهد قدما من عرابي .. من سوى جيش الحمي يحمي الحمي ؟
ولسوف يحدث في غد مالم يكن أحد يظن ، وينتظر ..
فأله يحمي الجيش .. يحمي الشعب .. يحمي زحف مصر المتصرا ،

وتوالت الأيام مسرعة ، تعصف غاراتها لغرائب
والناس تسمع ما يقال ، ولا تحقق صادقا من كاذب ..
وأق صباغ السبت بالآباء .. فالإسكندرية صاحبه ..

لكن رأس البر لا تدرى .. وأحداث الحى متعاقبه
حتى أن الميعاد .. وانطلقت هناك مع الغروب القبله
وتحدث المذيع .. يعلنها لمصر على الزمان بجلجله ..
ويحدث القوم النيام ، بأن طاغوت الزمان قد اندحر
وبأن مصر تخلصت منه .. وأن الجيش بالشعب اتصر !

وتحدث البطل الصغير إلى أبيه .. وكان دون العاشره
وكأنما هو قطعة وثابة من قلب مصر التائه ..
ولذلك اشتعلت جوانحه ، وراح من الحاسه يتنفذ
ويتابع الأنباء مذهلة .. يؤيد تارة أو يعترض ..
ويقول:

« يا أباه .. من نوارنا؟ »

فيجيب:

« أبطال الحى ! »

فيعود يسأله:

« لماذا تار يا أباه .. أبطال الحى؟ »

فيجيب:

« حتى يهزموا أعداءم ! »

فيقول:

« من أعداؤهم؟ »

فيجيبه:

« أعداؤهم كثر ! »

فيسأله:

« وما أسماؤهم؟ »

فيجيب :

« يا ولدى ، ألم تسمع ؟ فأولهم هو الملك الطريد ، »

فيقول :

« والثاني ؟ أليس هو الدخيل ؟ أذاك جبار عنيد ؟
قد ثار أبطال الحى .. لم يا أبى لا يطردون الانجليز ؟
لن تستقيم أمورنا .. حتى يظهر منهم الوطن العزيز ،
حتى إذا ما ضاق والده لكثرة ما أجاب ، وما سأل ..
سأل الصغير ملاطفاً :

« ماذا اقتراحك أنت ؟ »

قال :

« إلى العمل ، »

وتعلم البطل الصغير .. وقال :

« ليس لنا مقام ها هنا ..
أبتاه .. فارجع لمصر يا همدان ، لتستقل بلادنا .. »

ومضى القطار مع الصباح : مصفراً .. يشتد نحو القاهرة
وأطل أحمد منه ، مبتهجاً .. على رأى الحقول الناضرة
قال :

« أنظرى سلوى .. فهذا كله أدنى تفانيس الملك ، »

قالت :

« وما هو ؟ »

قال :

« هذا كفر سعد .. بات رهن الممتلك ، »

قالت :

« ومن ذا سوف يملكه ، »

فقال لها :

« أنتكر صاحبه ؟ »

فلاح مصر ؟ وهل ينال الحق إلا من يؤدى واجبه ؟
وتعدنا عن شعب مصر الحر ، والأمل العريض المنتظر
لسكن أحمد قال :

« ياسلوى .. هناك الانجليز .. وهم خطر ..

لا بد من إجلائهم عن أرضنا .. فهم هم .. أعداؤنا ..

أفهل نسيت من الحديث وصية .. أوصى بها شهداؤنا ١٩ ،

قالت ، ونور الحق يملأ مقتلتيها بالشعاع الثاقب ..

« اليوم يسهل أن يتم عن البلاد جلاء هذا الغاصب ١ »
وأجاب أحمد :

« كيف ؟ »

قالت :

« لم يعد عرش هناك يسانه

والشعب بالجيش استعز .. وشمرت يوم الفداء سواعده

وأظن معركة ستنبش بالقتال ، رهية ، لجلاء ..

عن يصير الشعب الآبى ، على احتمال النذل ، من أعدائه ١ »

الجميل الصاعد

أخبار هذى الثورة الغراء صحف الحق ينشرها المدى
 ولسوف يبقى نورها فى كل صدر ، مشرقاً ، متجدداً ..
 فهى التى قد صحت أوضاعنا .. وأنت لنا بالمعجزة ..
 وهى التى قد أنجزت حر الطلاب لنا ، ونعم المنجزة ..
 إن عدت الثورات ، فهى الثورة البيضاء ، وهى الراشدة
 ولها من الأعمال آيات ، على حسن التصرف شاهده ..
 ولها سجل حافل بالباقيات الصالحات على الزمن ..
 لكن أعظم ما يسجله لها التاريخ .. تحرير الوطن !
 فلقد أقام الانجليز بحمر أعسوام احتلال ظالمه
 أربت على السبعين .. والدنيا كإقطاع الظلام القائمة ..
 ولها وعود بالجللاء .. هى الخداع .. ولاجللاء عن البلد
 حتى المحالفة التى أمضوا .. أرادوا أن تدوم إلى الأبد^(١)
 وسياسة المحتل فى كل المصور شعارها : فرق تسد ؟
 والشعب فى الأوهام ، والحزب المقرب بالحكومة يتفرد ..
 فن الذى سيقا تل المستعمرين ؟ وبالسلاح يحارب ؟
 إن لم يهب الشعب متحد الصفوف .. فكيف يحلوا أنفاص ؟



(١) الإشارة إلى معاهدة ١٩٣٦ التى كانت تنص على قيام محالفة أبدية بين اللطوين
 على أمرم وبين المستعمرين !

وأنى صباح الأربعاء^(١) وهبت الأجيال من غفلاتها ..
لترى الطليعة ، وهى تقتحم الزمان .. بعزمها وثباتها ..
وترى وجوه المؤمنين .. كأنها غرر الشمس المشرقة
وترى قوى الشعب المجيد ، هلى قوى أعدائه متفوقة
وترى كتيبة منقباد .. ويوم فالوجا .. تشق طريقها
وتهز أركان المدى .. فاقه يحنى حزنها وفريقها !
دوى النفير .. وراحت الأعداء ، كالأصنام ، تهوى من عل ..
ومشت جموع الشعب واثقة .. تدوس خصومها بالأرجل ..
وتقدم التاريخ يكتب ما يشاء .. مقلباً صفحاته ..
إن كان عندك ما يقال ، مصححاً ما زوروه .. فهاته !
أما أنا .. قلبى من ذاك الكثير .. وليس هذا موضعه !
لكن أعظم ما لدى هو الجلاء .. وقرب يوم الموقعة !
وممبارك الشعب العنيفة بالقنال .. ونارها ودخانها
وعذاب أمة الاحتلال على يديه .. وذلها وهوانها
والثار للتل الكبير .. هناك فوق تلاله ، وسفوحه ..
ودماؤها تجري عليه .. وجلدها فى نزفه ، وقروح ..
وعجى ساستها لمصر .. يوقعون وثيقة بجلاتهم ..
هى عندم أولى الوثائق ، يخلطون مدادها بدمائهم ..
وخروج آخر مستبد . . دنست أقدامه أرض الحى
وافته باخرة الهوان .. بيورسعيد .. فراح يعلو السيل^(٢)
وأقيم حفل بالضحى ، مشت الجموع إليه ، والشعب ازدحم
وأنى جمال ، .. قبل العلم العزيز .. وراح يرفع العلم !



(١) هو يوم الأربعاء ٢٣ يولية عام ١٩٥٢ .

(٢) الإشارة لى انسحاب الأنجليز الأول من بورسعيد تحفيذاً للافاتبة الجلاء .

فى ١٨ يونيه عام ١٩٥٦ .

بلدت الصغيرة ياسمين جميلة ، وبدأت شقيقتها أمل ..
والأوسط الفرد المرحى .. صابر .. بالتدقيق منشغل
أبناء أحمد .. يلعبون ، ويمرحون ، فهم بهاء المجلس
وهناك فى الصالون سلوى أقبلت تزهو بأفخر ملابس
ومضى يحدثها فقال :

« عجبت يا سلوى لأمر ، فأعجبني
من كان يحسب ذا الفقار .. أخاك .. سوف يحوز أعلى منصب ؟
ويكون صنو القادة الأحرار .. ملحوظ المكانة بينهم ؟ »
قالت :

« لقد ضحى وجاهد ذو الفقار .. فكيف يوضع دونهم ؟
قد كان من أبطال فالوجا .. وهم بالحق أبطال البلاد ! »
فأجاب مبتسما :

« ولا تنسى .. فقد أدى اليمين بمنقباد ! »
قالت وقد غمرت له بالعين :

« كل أمور دنيانا عجب ..
أولم تجتهد هدى .. تحاول أن تقابله .. وتلطف فى الطلب ؟
فشت على الوجه الحزين بحجة الذكرى .. وقال :

« نعم ، هدى
جاءت لتشفع عنده .. لكننا ضاعت شفاعتها سدى (١)
فوفق الدين الشريف أصابه حكم القضاء مؤبدا ..
وغدا عميل الإنجليز اليوم ، مملوك الثراء ، مجردا .. »

(١) أى لنفصح من زوجها فى ذى القنار .

قالت له سلوى ، وقد راحت تهقه :

« هل سمعت بما جرى »

إذ راح يُذكرها شقيق ذوالفقار .. وقد أبت أن تذكر ..

ويقول ، هل تذكرين معوض الحال ، حين تنكرا ؟؟

قد كان أعجب موقف لأخي ،

فأطرق زوجها وتفكرا ..

قال :

« افرحي سلوى ، فإن أخاك أدرك أجره وثوابه ،

قالت :

« وعباس ابن عمك .. هل نسيت جهادَه وعذابه ؟

أنسيت كيف مضى لفالوجا .. وكيف اختاره عبد العزيز ؟

أنسيت معركة القتال .. وكيف راح بها يصيد الانجليز ؟؟



وتحدث المذيع ، وارتفع الخطاب على الحديث الدائر

مُهرجَ الجميع ليستمعوا فذ اليبان من الزعيم الثائر

وأتى من الاسكندرية .. من بعيد .. صوت عبد الناصر

ليز أوتار القلوب .. كأنه صوت الحظم الهادر ..

ويحدث الشعب الابن .. بأمر « دلسيس » اللئيم الماكر

وبقصة الشهداء .. إذ خفروا القتال ، بأدمع ، وأظافر

وخيانة اللص الذي نهب الحمى ، ومضى بمال وافر

وهزيمة المستعمرين ، أمام زحف الثورة المتكاثرة ..

وقرار تأميم القتال ، وكيف تم لشعبنا وضع اليد

وكأنما هي من جمال .. صفعة .. للأجنبي المعتدى ..

وهناك راح الشعب يهدر بالهتاف .. معبراً عن فرحته ..

وتوترت أعصاب أحمد .. والتفت نظراته مع زوجته
غلب البرور عليه .. حتى راح كل كيانه يتحرك ..
ومضى يعانق زوجته سلى .. ويكي ما يشاء ويضحك !



ما ذلك الخلمُ الرهيبُ .. يراه أحمد ليلة في نومه ؟
فيرى جنود الجيش خارجة تقاتل عن مكاسب قومه ..
ويرى المارك ناشبات .. والرصاصُ يساحها متطاير ..
فيهب مذعوراً .. ويسأل ربه نصراً .. ونعم الناصر !
وتمر أيام ، وياق الجعفرية .. عابوا بالمسجد ..
وتفوده قدماء قبل الظهر ، توأ .. للمقام الأحمدي ..
ظهر المقام له من الزوار .. والحشد المرتل .. خاليا
فضى يصلحها صلاة الفتح .. في ظل المقام .. ثمانيا .. (١)



وأنت ليالى الشر بالعدوان .. وانطلقت هناك الناعبه
صفارة الإنذار .. تلوها القنابل ، ثرة ، متماقبه .
وتطلع البطل الصغير ، وقال :

« إن الشعب يتبع قائده
هذا الحريق على المطار ، وتلك ألسنة اللهب الصاعده ..
أبتاه ! قد جد القتال ، فهاث قنبلة لنا أو مدفعا ..
هجم العدو على الحى غدرا .. وآن لشعبنا أن يدفعا ..
أبتاه ! هذا إيدن الجبار .. أقبل غاشما متهججا ..
ماذا يريد اليوم منا ؟ هل يريد الفر أن نستسلم .. ؟

(١) أدى النبي صلى الله عليه وسلم هذه الصلاة يوم فتح مكة ، ومن ثمانى ركعات
متممة . يجلس بين كل ركعتين ، وقد أثر من القائد خالد بن الوليد أنه كان يصلحها عقب
كل معركة يخوض عليها فيها .

لا، لن يكون!

وذلول البنيان أجمع لانفجار القنبلة
وتطايرت منها الشظايا حول صابر .. تبغى أن تقتله ..
يجرى أبوه مسرعاً ، ليرده عن موقف فيه الخطر ..
وجرت إليه الأم صارخة .. وقالت :
« يا بني .. خذ الحذر ! »

قال الصغير مشمراً عن ساعد :

« لا بد أن نحمي المحي ،
الجيش في سيناء .. فلتنهض لبذل الروح ، أو بذل الدما ..
لنرد إسرائيل .. حتى لا يدنس رجسها هذا الثرى ..
وترى فرنسا بأسنا .. وتذوق حر سلاحنا .. انجلترا .. »
قالت له الأم الشفيقة :
« يا بني ! أنت تهزم هؤلاء ؟ »
فأجابها في قوة :

« أماء ! أنا قد ظفرنا بالجللاء ..
فلذلك نرفض أن نضيمه ، ونرفض أن نعود للاحتلال ..
جبل البطولة صاعد .. حر .. يسير وراء قائده جمال ! »

وتكلم المذيع ، ما بين المعارك ، والرصاص يدمدم ..
فأتى بصوت جمال ، وهو يقول :

« لا نعطى ، ولا نستسلم ..
سنحارب الدخلاء ، صفا ، ليس فيما بيننا متخاذل ..
سنقاتل العدوان ، بالعزم الآن ، على المدى ، سنقاتل !
وإذا بذاك الطفل .. صابر .. وهو يهتف ، حاكياً عن قائده ..
ودموعه تجرى على خديه .. وهو مشم عن ساعده ..

ويقول:

« يا أبتاه .. يا أماه .. لانمطى ولانستلم ..
قد قال قائدنا جمال .. ونحن تحت لوائه تقدم ..
سنحارب الدخلاء ، صفأ ، ليس فيما بيننا متخاذل ..
سنقاتل العدوان ، بالعزم الأبى ، على المدى .. سنقاتل ! »

وتلفت الأبروان .. وابسما .. وقد رأيا شجاعة صابر ..
نعم الشجاعة من صغير لم يزل في مستهل العاشر ..
قالت له سلوى :

« سلت نبي .. للجيل الجديد الظافر ! »
ومضى يقبله أبوه .. وقال :

« عشت .. وحاش عبد الناصر ! »

تمت ملصقة الجلاء

دراسة تحليلية

قصة الجلاء .

دراسة تحليلية

نظم الشاعر هذه القصة وهو ينظر إلى سلسلة طويلة من الأحداث الوطنية ، استمرت من الزمن أكثر من عشرين عاما ، وقد شهد بعضها بنفسه ، وعرف بعضها الآخر مما كان يجرى حوله من أمور الناس والحياة ..

ويكاد يكون كثير من الشخصيات التي ورد ذكرها في الملحمة ، قد عاش أصحابها في تلك الفترة ، وشاركوا في أحداثها ، ويبدو ذلك في دقة تصوير هذه الشخصيات ، وحسن عرضها .

وتنقسم شخصيات الملحمة إلى قسمين :

١ - شخصيات حقيقية .

٢ - شخصيات مخترعة .

وسنتصر في ذكر الشخصيات الحقيقية على شخصيتين . أولاهما :
شخصية القائد البطل ، والزعيم الملهم ، الرئيس جمال عبد الناصر .
والأخرى : شخصية البطل الفدائي الشهيد أحمد عبد العزيز .

(١)

الرئيس جمال عبد الناصر

عند بدء الحوادث كان كل وطني في مصر يتطلع إلى أمنية الحياة لديه ، وهي تتمثل في جلاء الانجليز عن أرض الوطن . ولذلك كانت أمنية الجميع أن يظهر القائد ، الذي يقود الشعب إلى التحرير في الوقت

المناسب . وقد جربت البلاد أنواعاً من الزعامات السياسية ، لم يصنع أفرادها شيئاً أكثر من أنهم أوقفوا أبناءها في المنازعات الحزبية ، حتى تفرقت بهم السبل . وفي هذه الأثناء ظهر الرئيس جمال عبد الناصر .. ولكنه لم يكن في ذلك الوقت سوى واحد من أفراد الشعب الذين تصدوا لخدمة القضية الوطنية ، ولذلك رمزت إليه الملحمة ، في تلك الفترة المبكرة من الشباب ، باسم « الفتي المرموق » ..

وأول ما يظهر « الفتي المرموق » في الفصل الثامن من الملحمة ، في متعباد ، والليل ضارب أظنابه ، وقد اجتمعت فئة من شباب الجيش حول زعامته الرشيدة المبكرة . . فراح يشرح لها شرحاً مستفيضاً أحوال البلاد السيئة تحت حكم الاحتلال ، وضعف الجيش ، وفساد الحياة السياسية ، وهوان أمر الشعب على نفسه ، حتى أصبح « شعباً بغير إرادة » .. ويسأل :

« إن يكن بعثُ الإرادة يمكننا ؟ »

ويقول في استنكار :

« شعبٌ بغير إرادة .. ماذا يكون ؟ وكيف يصمد للعدا ؟ »

ثم يمضي في الحديث إلى غايته . ويسأله أصحابه عما يقترحه حلاً ومخرجاً ، وإذا به يفاجئهم بإحدى حكمة المأثورة الرزينة .. قائلاً :

« تلك هي اللغات بلغظها تتكلم .. »

إن أنتَ خاطبت امرؤاً يوماً بغير لسانه .. هل يفهم ؟ »

وعندما يجيبونه بأن ذلك غير ممكن ، يلقى بينهم بقراره الحاسم الخطير .. فيقول :

« لغة العدو مع العدو .. هي السلاح .. ولا تقام غيرها ! »

ويعود « الفتي المرموق » للظهور مرة أخرى ، في آخر الفصل الثاني عشر ، في القالوجا .. حيث يجلس هناك مع أصحابه ، في الربيع ، على

شقيز الخندق ، يحشهم . بقضية الوطن ، وما وصلت إليه الأحوال ،
 في بساطة وعمق وإيمان . ويختم حديثه لم يقوله التاريخي للأثورة :
 « هي عقدة ليست تحمل هنا .. ولكن حلها في القاهره ١ »
 ولانعود هذه الشخصية للظهور بعد ذلك ، ولكن في الفصلين
 الأخيرين تتوالى أحداث الثورة ، منذ قيامها في ٢٣ يولية ١٩٥٢ بقيادة
 البطل جمال عبد الناصر .. حتى وقوع العدوان الثلاثي عام ١٩٥٦ ..
 ويسمع في نهاية الفصل الأخير صوت الرئيس جمال عبد الناصر نفسه ،
 بين ضجيج المعركة . آتيا من المذياع ، يقول في ثبات :

« سنحارب الدخلاء صفأ .. ليس فيما بيننا متخاذل
 سنقاتل العدوان ، بالعزم الأبي .. على المدى .. سنقاتل ١ »

(٢)

الشهيد أحمد عبد العزيز

وفي الفصل الثاني عشر ، تظهر شخصية البطل الفدائي الشهيد ، أحمد
 عبد العزيز .. قائد كتائب الفدائيين في حرب فلسطين ، عام ١٩٤٨ .
 وتصور الملحمة هذه الشخصية على طبيعتها ، من طيبة النفس ،
 ودمائه الخلق والإيمان بالله ، والإخلاص للواجب .
 وهو أروع ما يكون حين يدفع جنوده إلى الميدان ، في كنف أشجار
 الزيتون ، ومروج الكرم .. لينطح المستعمرات الاسرائيلية بكتائبه
 ويزلزل الارض تحت أقدامها .. وهو لا يفتأ يظهر على الطريق ، يشجع
 ويحرض ، ويبارك ..

« من دير ماريا ، تسير إلى الخليل ، ويبت لحم فرقة
 وتزلزل الأرض المقدسة الحبيبة ، حين تظهر قوته ..
 أبداً تراه على الطريق ، مشجماً ، ومحرضاً ، ومباركاً ..
 وإذا دنا منه العدو .. تراه ليثاً بالسلاح مشاركاً .. »

وتتابع هذه الصور .. والبطل في موقفه .. عائد من توديع أحد أشباله .. يسير على الطريق إلى المعسكر وحده .. يرى بمقلته إلى أقصى الفضاء .. ويتند .. وتتبعز يده على غدارته .. ويتذكر الوطن ويسأل نفسه .. «ماذا يقولون عنا هناك ؟» .. ويحيل نظرة في المكان فطرة أخيرة .. للمقعد الحجري فوق الطريق .. والأزهار الياضعة تحيط به من كل جانب .. ويخاطب نفسه :

«أجل .. هنا قبري وتمثال .. كذا يحزى البطل ..
والمقعد الحجري .. راحة زائر ، أو قاصد .. صعد الجبل ! ،
ثم يعود ، بعد الغروب ، ماراً وسط حدائق الزيتون ، وقد أخذت الطيور تعود إلى أوكارها .. وهناك بين المروج .. ينسى كلمة السر اللبينة .. ويتكلم القدر الرهيب .. وتنطلق الرصاصة الطائشة ..
رحمه الله !



فإذا نظرنا إلى الشخصيات المخترعة .. فربما ظهر لنا لأول وهلة أن شخصية أحمد ، هي الرئيسية بين تلك الشخصيات لأن حوادث الملحمة تدور حولها في الغالب . ولكن إذا انعمنا النظر وجدنا شخصيات غيرهما أكثر فعالية في حوادث جلاء الإنجليز عن مصر ، مثل شخصية ذى الفقار مثلاً ..

على أن النظرة الفاحصة تبين أن شخصية أحمد ، وإن كانت تمثل دوراً رئيسياً حقاً من أدوار الملحمة ، إلا أنها لا تمثل هذا الدور بمفردها ، ولا تنفصل فيه عن شخصيات غيرها . إن شخصية أحمد تمثل الجيل الثالث من بين أربعة أجيال مثلها أربع شخصيات هي الجد والوالد ، والولد ، والحفيد

(١)

الجند

يمثل الجند الجيل الأول ، فقد شهد الثورة العراقية ، وروى أحداثها
بذاكرة واعية . وقال إنه شارك في معاركها ببندقته ، وأنه صوبها إلى
الإنجليز في معركة التل الكبير ، واصطاد بها اثنين من جنودهم .. ونسب
الحياة إلى الحديو توفيق ، وذكر وقائع محددة طريفة ، مثل حديثه عن
سيمور ، قائد الأسطول الإنجليزي مثلا .. حيث قال عنه :

« بدت أساطيل العدو يقودها سيمور .. ذاك الاحمق .

ويقول والمنظار فوق المقلعة الموراء .. هيا أطلقوا ! ..

وتبدو في هذا الجند أيضا بساطته الريفية ، واعتقاده في الأولياء ،
مع جهل يكسوه ثوب العلم ، حين راح يؤكد لحفيده في غضب ما يزعمه
من أن هناك ولياً من كبار الأولياء مدفوناً في ساحة الأزهر .. ويسميه
« الأزهرى » ، وهي نكتة لها نظائرها ، ووضع له ما يشبهه في الريف ،
وبخاصة في ذلك الوقت الذي أطبق فيه الجهل ، وحجب عن الناس نور
العلم والعرفان ..

(٢)

الوالد

وهو « نور الدين » .. ويمثل الجيل الثاني .. وقد جاء هذا الجيل بعد
فشل الثورة العراقية ، وبدء الاحتلال مباشرة .. ولذلك نشأ في ظل
الخنوع والاستكانة واليأس ، مع شدة الخوف على المصالح الشخصية
أن تضيق في ظل النزغات الوطنية الموحش ، كما كانت تبدو لشخصيته
المنحرفة ..

ويظهر حقيقة هذه الشخصية — التي كان لها نظائر هادون شك — في
تمنيف نور الدين لولده على وطنيته وأفكاره التحررية .. فهو في الفصل
الأول يرميه بأنه «مخفل» .. و«غيب» .. ويردد القول بأن الإنجليز
أقوى دولة في الأرض ، وأن الشمس لا تغيب عن أملاكهم .. بينما
يمود في الفصل السابع ، خلال الحرب العالمية الثانية ، فيسب ولده مرة
أخرى — بعد أن تخرج في الجامعة — ويرميه بأنه «غبي» .. و«غشيم» ..
لأنه لم يدرك ، كما أدرك هو ، أنه ليست هناك حرب حقيقية ، فلا شيء
في نظره يدعى هتلر ، ولا شيء يدعى رومل ، وإنما هم الإنجليز
الدهاة ، يصورون هذا للشعب في مصر ، ليعنوا في إذلاله وإرهابه ،
حتى يتوصلوا إلى استمرار إخضاعه ، واحتلال أراضيه ...

ويفسر لنا حقيقة هذه الشخصية تفسيراً واضحاً ، شقيقه عبد الله ،
في الفصل الأول ، وهو يهدى من نائرة أحمد على أبيه .. إذ يقول
للآخر :

« وأبوك — أحمد — وهو شيخ الجعفرية .. وهو عمدة خطها
لا بد يصطنع الدهاء ، لكي يشيد داره في شطها ،

على أن الملحمة تعود في فصلها العاشر . فتمطينا صورة إنسانية
رائعة ، لنور الدين ، وهو على سرير الموت .. وللبوت جكه الرهيب .
حيث يثوب الرجل إلى رشده ، ويعرف حق وطنه عليه ، ويعلم وصيته
على أبنائه وأحفاده ، فإذا هي تتضمن المطالبة باليقظة التامة ، وعدم
مهادنة أعداء الوطن ، مع تحديد هؤلاء الأعداء تحديداً دقيقاً ، يحصرهم
في ثلاثة هم : الإنجليز ، والعرش ، والإقطاع ..

(٣)

الوليد

وهو أحمد .. ويمثل الجيل الثالث ، الذى عاش فى مصر فى أعقاب الحرب العالمية الأولى ولم يشهد ثورة ١٩١٩ ، ولكنه شهد آثارها . ثم التحق بالجامعة عام ١٩٣٥ ، حيث شهد ثورة الشباب السياسية فى ذلك العام .. وشارك فيها مشاركة فعلية .. ووطنية أحمد فوق الشبهات .. وهى خط حياته الذى لم يحد عنه ... وأروع ما فيها مصاحبته لشهيد الجامعة الأول « صابر » . واستماعه لوصيته الخالدة قبل موته ، فى العبارة المأثورة ، التى راح الجميع يرددونها بعد ذلك ، ولم ينسها أحمد أبداً طوال حياته .. وهى قوله :

« الإنجليز .. هم هم أعداؤنا ... »

على أنه إذا كان أحمد قد شارك فى أحداث ثورة ١٩٣٥ . فإننا نراه فى الملحمة بواصل عمله الوطنى بعد ذلك فىبسى فى إنقاذ صديقه الفدائى ذى الفقار ، إبان الحرب العالمية الثانية .. وقد كان الأخير من ضباط الجيش الذين تعرضوا للاعتقال والسجن والتعذيب ..

كما نراه قبيل الثورة الكبرى ، فى عامى ١٩٥٠ ، ١٩٥١ ، وهو يطبع المنشورات فى مطبعته الخاصة ، ويوزعها داعياً إلى جلاء الإنجليز ، ونشر العدالة الاجتماعية فى مصر .. معرضاً نفسه للسجن مرة أخرى ، وذلك بعد أن جاوز الأربعين من عمره وأصبح أباً لثلاثة من الأبناء ..

وتم ناحية إنسانية فى شخصية أحمد .. فقد رضى عن طيب خاطر أن يقترب بسوى . شقيقة ذى الفقار . وهى دونه ثقافة ، إذ لم تتخرج

في الجامعه مثله .. وذلك لما عرف من وطنيتها الصادقة وفنائيتها المنقطعة
النظير .

وزواج سلوى من أحد ، بدأ الجيل الرابع ، بثلاثي ولدتهما الصغير
صابر ..

(٤)

الحقيقة

وهو صابر ، الصغير ، . ويمثل الجيل الرابع ، هذا الجيل الذي
أدرك الثورة وهو في السادسة ، وأدرك العدوان الثلاثي وهو في
العاشرة .. وهو الجيل الصاعد ، الذي تمجد عليه البلاد كبار الآمال ..
وتدرك الملحمة مثل الجيل الصاعد ، وهي تقترب من نهايتها .. ولكنها
مع ذلك تعطى عنه فكرة كافية ..

ففي الفصل الرابع عشر يظهر صابر ، الذي سماه والده باسم زميله
الشهيد إحياء لذكراه ، فيستمع إلى نبأ قيام الثورة ، عن طريق المذياع ،
وهو يتفحص من الحماسة :

« وكأنما هو قطعة وثابة من قلب مصر الثائرة ! »

ويروح يناقش والده مناقشة طويلة دقيقة عن هؤلاء الثوار
من هم ؟ ولماذا ثاروا ؟ ومن هم أعداؤهم ؟ وما هي أسماء هؤلاء الأعداء ؟
ولماذا لا يطردهون الانجليز أيضاً من مصر ، ماداموا قد أعلنوا الثورة ؟ .
وفي الفصل الخامس عشر يقف البطل الصغير صابر ، مرة أخرى ،
يسخر من العدوان ، ولا يبال بالقنابل المتساقطة من حوله .. مردداً قول
الرئيس جمال عبد الناصر الذي سمعه من المذياع منذ حين ، وغناطياً والديه
في عزيمة صادقة ، بقوله :

« إنا قد ظفرنا بالجلاد .. »

فلذلك نرفض أن نضيقه .. ونرفض أن نعود للاحتلال
جيل البطولة صاعد .. حر .. يسير وراء قائده جمال ،



ونتم شخصيات أخرى غير هذه الشخصيات الأربع ، لا تقل
أهمية عنها .

(١)

ذوالفقار

لا يمكن إنكار هذه الشخصية ، بين شخصيات الملحمة . فهي تسير
في خط متواز مع شخصية أحمد ، وقد كان صاحبها طالبا في كلية
الحقوق ، ثم آثر أن يتركها ، ويلتحق بالجيش ، ليعمل على رد حقوق
الوطن الضائعة .. تحدث عنه الملحمة في فصلها السابع .. فنقول :

« نعم الملازم ذوالفقار .. فإنه في كل خطب يقتحم
ترك الحقوق ، لغيره .. ومضى ليأثر للحقوق وينتقم ..
لحقوق مصر على المدى ، في أن تسود ، وتستقل ، وتنتصر
في عصبه .. كتبوا وإياه صحيفة الانطلاق المنتظر ... »

وهذا نفسه مما يضمن على هذه الشخصية أهمية خاصة . فهذه الطريق
هي ذات الطريق التي سلكها الرئيس جمال عبد الناصر في شبابه ، حين
ترك كلية الحقوق ، والتحق بكلية أركان الحرب ، ليعمل على تحرير
الوطن عن طريق الجيش ..

ولا تخطئ الملحمة الإشارة إلى أعمال ذى الفقار المجيدة ، خلال
الحرب العالمية الثانية ، وردوده على شقيقته سلوى في ذلك الحين تدل
على أنه كان متصلا بتنظيم سرى يعمل فعلا لمصر ، وخلاصها من الانجليز .
على أن صورته الواضحة كل الوضوح تظهر في مفتاح الفصل الحادى

عشر الذى تحدث عن عهد الإرهاب .. حيث تقول الملحمة :

« مضت السنون ، وذو الفقار يفر من جحش ، ليدخل معنقل ..

طورا يعود إلى كتيبه .. ويقطع تارة صخر الجبل ٢١

ثم تصوره وهو يتخفى من « القلم السباسى » . وينتهب الذخيرة من مخازن الجيش الانجليزى ، ليسلمها إلى الفدائيين ، لاستعمالها في حوادث المترو ، والسينما ، والأندية الليلية ، التى كان يروح ضحيتها كثير من جنود الانجليز يومئذ .

ويظهر في نهاية الملحمة أن ذا الفقار . كان من أبطال الفالوجا .. كما أنه كان ممن أقسموا القسم فى متعباد ، ولذلك بلغ بين رجال الثورة منزلة ودرجة .

(٢)

عباس

كذلك لا يمكن انكار شخصية الفدائى الشاب عباس ، ابن هم أحمد الذى شهد يوم القنطرة اثنائى (كوبرى عباس) عام ١٩٤٧ .. ثم التحق بمجموع الفدائيين التى ذهبت إلى فلسطين فى العام التالى ، حيث اتصل بالشهيد أحمد عبد العزيز ، وأبلى بلاء حسناً ، حتى كان يختاره البطل قائد الفدائيين رسولا بينه وبين رجال الجيش النظامى فى الفالوجا ..

وآخر موقف يظهر فيه فى الملحمة ، هو موقف الوداع بينه وبين قائده الكبير ، الذى راح يتابعه بنظره وهو منطلق قبيل الغروب بين أشجار الزيتون والكرم من أرض فلسطين الحبيبة .. فيشبعه بدموع عينيه .. ويلاحقه فى إيمان عميق هاتفاً :

« باركه ياربى ! »

كذلك يظهر فى الفصل الأخير أن عباساً شارك فى جهاد آخر مجيد ، وذلك حين تحدثت عنه سلوى إلى أحمد . فتقول :

« أنسيت معركة القتال .. وكيف راح بها يصيد الإنجليز ؟ »

وفي الملحمة شخصيات نسائية ، أهمها شخصيتان :

(١)

هدى

شاركت هدى في أحداث الجامعة ، عام ١٩٣٥ ، إذ كانت بين طالباتها ، فتراها تخطب الشباب وتحسمهم عقب تصریح هور المشهور .. وهو موقف غير مسبوق .. فهي فيه رائدة :

« تدعو الآية ، والآني ، إلى الجهاد ، إلى النضال ، إلى العمل ، وهي ترى أن رسالة الفتاة لا تقتصر على تحصيل العلم وحده ، ولكنها تمتد إلى الدفاع عن الوطن ، والقتال في سبيله عن طريق الحرب ذاتها ، لافرق في ذلك بينها وبين زميلها الشاب :

« إن الفتي لمحارب يحمي الحمى .. وكذا الفتاة محاربة ، على أن نهاية الفتاة في الملحمة لم تكن كبدايتها .. ولا عجب في ذلك فان الحياة متشعبة المسالك ، والمرء فيها لا يعرف ما يأخذ وما يدع ، وقد انسافت هدى وراء زواج مبكر ، من شيخ موسر ، في الخمسين ، إلا أنه جميل الطلعة ، يملك آلاف الفدادين :

« ويقال إن الباشوية في الطريق إليه لا تتأخر ، فلماذا تلام فتاة على مثل هذا الزواج ؟ وما ذنبها في أن حظها منه لم يكن خيراً كله ؟ فقد ظهر أن زوجها الثرى كان بحكم موقعه ، عميلاً للقصر والإنجليز ، ولذلك حكمت عليه الثورة بالسجن ، وجرده من أملاكه ..

« وغدا عيل الإنجليز اليوم ملوب الثراء ، مجردا ... »
وجاءت هدى أخيراً إلى ذى الفقار لتشفع لزوجها عنده :
« لكننا راحت شفاعتها سدى ... »

(٢)

سلوى

أما الشخصية الجديرة بالتقدير حقاً ، فهي شخصية سلوى — شقيقة
ذى الفقار ، التى كانت منذ طفولتها المبكرة زعيمة وطنية رائدة :
« كانت بمدرسة البنات الأولية .. والفصول الراقية ..
للطالبات زعيمة .. تدعو وتهتف وهى بنت ثمانية ،
ولم تساعدها الظروف بإتمام تعليمها فى الجامعة . إلا أنها فاقت
الكثيرات بوطينتها ، وصدق بلائها فى الدفاع عن أمها ..
وقد صورت الملحمة وطنية سلوى فى أروع صورها ، وهى تدافع
عن صديقتها الشهيدة منى » التى كانت فى نفس الوقت شقيقة للشهيد
صابر .. حين اغتصبها جنود الإنجليز السكارى ، وقتلوا وهى تدافع عن
شرفها ، وتركوا جثتها بين المقابر .. هالك راحت سلوى تسخر من
أخها ذى الفقار .. قائلة :

« لمتى انتظارك ؟ أليس لمصر عهد عندكم ؟

جند الخليفة يصبون نساء مصر .. وما رأينا جندكم ؟ »

ويظل ذو الفقار يراوغها ، لتلا يفصح لها عن أخبار المنظمة السرية
التى يعمل بها ، ويقول إن لم سياسات وتخطيطا سيظهران فى الوقت
المناسب .. فتصب عليه سخريتها صاباً ، حيث تقول :

« بل ذاك الكلام الفارغ .. »

ولى زمان الهزل ، هذى الحرب .. هذا جرح مصر البالغ !
ثم يهديها تفكيرها للعمل بمفردها ، فتخترع سلاحاً فتاكاً ، تروح
تملاً له الزجاجات الفارغة بالرمل والبارود ، وتلقبها على الانجليز من
ناقذة بيتها ، حتى تسبل دماؤهم فى الطرقات .. ويشتهر عنها هذا السلاح
الرهيب ، ويستعمل فى كل مكان ، وهو ما عرف يومئذ باسم « كوكيتيل
مولوتوف » ..

« وتوالى الأيام ، واشتهر السلاح .. فكل كف تضرب
كوكيتيل مولوتوف .. جند الانجليز بمثله لم يشربوا ! .. !
وسلوى بعد ذلك كله ، زوجة وفية ، وصديقة مخلصة ، وأم
روم .



— ولا نختتم هذه الدراسة التحليلية ، دون أن نشير إلى ماحوته
القصة من وصف لبعض الأحداث والمواقف والوقائع الهامة ..
— فهى نصف الانفلاقة الكبرى فى ٢٣ يولييه عام ١٩٥٢ :
« وأنى صباح الاربعاء : وهبت الاجيال من غفلاتها ..
لترى الطليعة وهى تقتحم الزمان بعزمها وثباتها ..
— بل إن هذه الطليعة ذاتها كانت فى منقباد عام ١٩٣٨ تلمس
الطريق :

« نار على جبل الشريف توقدت ليلاً بظاهر منقباد ..
هل تلك نار الدفء فى ليل الشتاء .. أم أنها نار الجهاد ؟
— وإسرائيل صنيعة المستعمرين ، ووليدة وعد بلفور البغيض :
« هى حلم الاستعمار فى أرض العروبة .. لا تحقق حلمه ..
هى وعد بلفور .. الذى قد جاد بما ورثته .. أمه !

- واليهود هم شر الخلق ، وأصل المتاعب في هذا العالم ..
- « لو تم إجلاء اليهود عن البسيطة .. لا استراح العالم .. »
- وهم لا يعرفون ديننا ولا ضمير آ في سبيل تحقيق أغراضهم :
- « لادين يعرفه اليهود ولا ضمائر .. للحصول على الذهب .. »
- والعملاء هم شر الخلق ، وإن كانوا من عبية القوم ووجهاتهم :
- « شر الرجال .. وشر أصحاب الثراء .. وسفلة الوجهاء
- من يدعون بالفايات الصالحات .. وهم من العملاء ، »
- والشباب ، هم الجيل الصاعد إلى المجد ، خلف قائده الملهم الرئيس
- جمال عبد الناصر :
- « جيل البطولة صاعد .. حر .. يسير وراء قائده جمال ، »



هذه نظرات تحليلية سريعة في ملحمة « الجلاء » ، وهي بعد قصة جديدة في أسلوبها ، جديدة في موضوعها .. ولذلك فما أجدرها بالقراءة الجديدة ، والنقد الجديد !

فهرس

٣	تقديم : بقلم محمد عطا
٥	الإهداء
٩	مقدمة بقلم الشاعر
٢٥	١ - آباء وأبناء
٢٣	٢ - ثورة الشباب
٤٠	٣ - يوم القنطرة
٤٦	٤ - وصية الشهيد
٥٢	٥ - ثمن الجهاد
٥٨	٦ - حبث الشباب
٦٤	٧ - القيم المنهارة
٧٣	٨ - حديث الفق المرموق
٧٩	٩ - لغة السلاح
٨٧	١٠ - جيل ينقضي
٩٤	١١ - عهد الإرهاب
١٠١	١٢ - متطوع في فلسطين
١٠٨	١٣ - حريق القاهرة
١١٤	١٤ - نداء مع الفجر
١٢٢	١٥ - الجيل الصاعد
١٢٩	دراسة تحليلية



الدار القومية للطباعة والنشر

١٥٧ شارع صبيح - مدخل الغرب

تلفون { ٤٠٧٥٣ / ٤٢٠١٢
٤٠٥٨٨ / ٤٠٨١٤ }

هيئة قناة السويس

حركة البضائع

بلغت كميات البضائع التي عبرت القناة خلال شهر سبتمبر ١٩٦٢ ١٥٩٢٥٠٠ طن مقابل ١٣٥٢١٠٠٠ طن في سبتمبر ١٩٦١ مسجلة زيادة قدرها ٢٤٠٤٠٠٠ طن أى بنسبة قدرها ١٧٫٨ ٪ .

حركة البضائع من الشمال :

زادت كميات البضائع العابرة من الشمال إلى الجنوب خلال سبتمبر عام ١٩٦٢ بمقدار ٣٢٦٠٠٠ طن أى بنسبة ١٥٫١ ٪ (٢٤٩٠٠٠٠ طن في سبتمبر ١٩٦٢ مقابل ٢١٦٤٠٠٠ طن في سبتمبر ١٩٦١) .

ويرجع ذلك إلى زيادة كميات المواد البترولية ومعظم البضائع الرئيسية .

وقد سجلت المواد البترولية التي عبرت القناة خلال شهر سبتمبر عام ١٩٦٢ على تلك العابرة في سبتمبر من العام الماضي زيادة قدرها ٢٢١٠٠٠ طن أى بنسبة ٦٨ ٪ (٥٤٥٠٠٠ طن مقابل ٣٢٤٠٠٠ طن) وقد شملت الزيادة جميع أصناف المواد البترولية فيما عدا المازوت التي نقصت كمياته بمقدار ١٧٠٠٠ طن (٩٥٠٠٠ طن مقابل ١١٢٠٠٠ طن) .

وكانت الزيادة في الأصناف الأخرى كالآتي :

البترول الخام	١٦١٠٠٠ طن (٢٩٩٩٠٠٠ طن مقابل ١٣٨٠٠٠٠ طن)
السولار والديزل	٤٧٠٠٠ طن (٥٨٠٠٠٠ طن مقابل ١١٠٠٠٠ طن)
البترين	٢٧٠٠٠ طن (٤٦٠٠٠٠ طن مقابل ١٩٠٠٠٠ طن)
الكبريت	٧٠٠ طن (٤٢٠٠٠ طن مقابل ٣٥٠٠٠٠ طن)

وبالنسبة لمناطق شحن المواد البترولية قد صدر الاتحاد السوفيتي ما يعادل ٨٦ ٪ من تلك المواد ورومانيا ٦ ٪

واستقبلت اليابان ما يعادل ٣٦ ٪ والجمهورية العربية المتحدة ٣٠ ٪ والهند ١١ ٪ .

أما كيات البضائع الأخرى ، عدا للمواد البترولية ، قد زادت بمقدار ١٠٥٠٠٠ طن أى بنسبة ٦ ٪ (١٩٤٥٠٠٠ طن مقابل ١٨٤٠٠٠٠ طن) . وقد سجلت كيات البضائع الرئيسية النسب الآتية زيادة أو نقصاً عن مثيلاتها في سبتمبر ١٩٦١ .

الحبوب	+	١٠٢ ٪
الأسمنت	+	٤٨ ٪
الآلات	+	٢٦ ٪
السكر	-	٦٤ ٪
الأسمدة	-	١٤ ٪
المعادن المصنوعة	-	١١ ٪

حركة البضائع من الجنوب .

سجلت كيات البضائع للمارة شمالاً خلال شهر سبتمبر عام ١٩٦٢ زيادة قدرها ٢٠٧٨٠٠٠ طن بنسبة ١٨٣ ٪ (١٣٤٣٥٠٠٠ طن في سبتمبر عام ١٩٦٢ مقابل ١١٣٥٧٠٠٠ طن في سبتمبر عام ١٩٦١) .

وترجع هذه الزيادة بصفة رئيسية إلى زيادة كيات المواد البترولية وال خامات وللمعادن وخامات النسيج والسكر .

وقد بلغت كيات المواد البترولية التي عبرت خلال سبتمبر سنة ١٩٦٢ — ١١٤٦٦٠٠٠ طن مقابل ٩٥٢٣٠٠٠ طن في سبتمبر عام ١٩٦١ زيادة قدرها ١٩٤٣٠٠٠ طن أى بنسبة ٢٠ ٪ وتعزى الزيادة إلى جميع أنواع المواد البترولية التي زادت بالمسكيات الآتية :

البتروئ الحام	١٤٩٥٠٠٠ طن	(١٠٣٦٩٠٠٠ طن مقابل ٨٧٧٤٠٠٠ طن)
المازوت	٢٣٦٠٠٠ طن	٤٩٥٠٠٠ طن مقابل ٢٥٩٠٠٠ طن
السولار والديزل	١٨٠٠٠ طن	(٢٨٨٠٠٠ طن مقابل ٢٧٠٠٠٠ طن)
البنزين	١١٩٠٠٠ طن	(٢١٧٠٠٠ طن مقابل ٩٨٠٠٠ طن)
الكيروسين	٣٠٠٠٠ طن	(٦٣٠٠٠ طن مقابل ٣٣٠٠٠ طن)

وتمثل المواد البترولية نسبة قدرها ٨٥٪ من مجموع كيات البضائع العابرة
شمالا بينما كانت هذه النسبة ٨٤٪ في سبتمبر عام ١٩٦١ .

وبلغ التوسط اليومي لكيات للواد البترولية في سبتمبر سنة ١٩٦٢ —
٣٨٢٢٢٠ طنا (٢٦٧٥٥٤٠ برميلا) مقابل ٣١٧٤٣٣ طنا (٢٢٢٢٠٣١ برميلا)
في سبتمبر ١٩٦١ .

وبالنسبة لكيات البضائع الأخرى عدا اللواد البترولية قد زادت عن تلك
العابرة في سبتمبر عام ١٩٦١ بمقدار ١٣٥٠٠٠ طن أى بنسبة ٧٤٪
(١٩٦٩٠٠٠ طن مقابل ١٨٣٤٠٠٠ طن)

أما كيات البضائع الرئيسية فتوضح فيما يلي نسب الزيادة أو النقص عن
مثيلاتها خلال الشهر المقارن .

خامات الفسيج	+	٢٦٪
السكر	+	١٨٪
للعادن وخاماتها	+	٥٪
الحبوب	-	٣٩٪
النباتات الزيتية	-	٣٥٪
للحطاط	-	٢٨٪



الدار القومية للطباعة والنشر

١٥٧ شارع صبيح - مدinet الفدح

٤١٠١٢ / ٤٠٧٥٣ } للبرق
٤٠٨١٤ / ٤٠٥٨٨ }

